



فذه الشجرة

عباس محمود العقاد

طبعة منقحة



اسم الكتاب: هندسة الشبكات
المؤلف: عباسي محمود العقاد
إشراف: علم: داليا محمد إبراهيم
تاريخ النشر: الطبعة الثانية - يناير 2006 م.
رقم الإيداع: 1786 / 2006
التراخيص الدولي: ISBN: 977-14-3374-1

الإدارة العامة للنشر: 31 بل أحمد عرابي - المهندسين - الجيزة
ت: 83366434 (02) 8475864 (فاكس) 83363576 (02) س.ب. 28 إمبابة
البريد الإلكتروني للإدارة العامة للنشر: Publishing@nahdetna.com

المطابع: 80 المنطقة الصناعية للراحة - مدينة السادس من أكتوبر
ت: 8336287 (02) - 8336289 (02) - فاكس: 8336296 (02)
البريد الإلكتروني للمطابع: Press@nahdetna.com

مركز التوزيع الرئيسي: 18 بل كامل صدقي - قنطرة -
القاهرة - ص.ب. 96 القنطرة - القاهرة
ت: 5949427 (02) - 5949495 (02) - فاكس: 5943393 (02)

مركز خدمة العملاء: الرقم المجاني: 08002326212
البريد الإلكتروني لإدارة البيع: sales@nahdetna.com

مركز التوزيع بالإسكندرية: 406 طريق الحرية (رشدى)
ت: 5463298 (03)
مركز التوزيع بالمنصورة: 42 شارع عبد السلام صاف
ت: 2259675 (099)

مواقع الشركة على الإنترنت: www.nahdetna.com
موقع البيع على الإنترنت: sales@nahdetna.com



للمها أحمد محمد إبراهيم سنة 1388

احصل على أي من إصدارات شركة نهضة مصر (كتاب/CD)
وتتمتع بأفضل الخدمات عبر موقع البيع www.enahda.com

جميع الحقوق محفوظة © لشركة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع
لا يجوز طبع أو نشر أو تصوير أو تخزين أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة إلكترونية
أو ميكانيكية أو بالتصوير أو خلاف ذلك إلا بإذن كتابي صريح من الناشر.

هذه الشجرة

﴿... ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلاً من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين (١٩) فوسوس لهما الشيطان ليدي لهما ما ووري عنهما من سوءاتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين (٢٠) وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين (٢١) فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدتا لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين ﴿ [الأعراف: ١٩ - ٢٢]

﴿... ولما نجا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين (٣٥) فأر لهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه ولما اخطوا بفنكهم لعن عدو ﴿ ولكم في الأرض مشى وتمتع إلى حين ﴿ [البقرة: ٣٥، ٣٦]

«رأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل وأنها بهجة للعيون شبيهة للنظر. فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت رجلها أيضاً معها فأكل، فاتفقت أعينهما وعلمتا أنهما عريانان... ونادى الرب آدم وقال له: أين أنت؟ فقال: سمعت صوتك في الجنة فخشيت لأنى عريان فاختبأت. فقال: من أعلمك أنك عريان؟ هل أكلت من الشجرة التى أوصيتك ألا تأكل منها؟ فقال آدم: المرأة التى جعلتها معى، هى أعطتني من الشجرة فأكلت. فقال الرب للمرأة: ماذا الذى فعلت؟ فقالت المرأة: الحية غرتني فأكلت. فقال الرب للحية: لأنك فعلت هذا ملعونة أنت من جميع البهائم ومن جميع وحوش البرية، على بطنك تسعين وترباً تأكلين كل أيام حياتك، وأضع عداوة بينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلها: هو يسحق رأسك وأنت تسحقين عقبه».

العهد القديم «الأصحاح الثالث. سفر التكوين».

• • •

هى القصة الخالدة فى الأنبياء الكتابية.

وهى الرمز الغالد إلى طبيعة المرأة التى لا تتغير: هى تفعل ما تنهى عنه وهى

تغري الرجل، وفي كل من هذين الخلقين دليل مجمل على خلائق أخرى مقصلة
تنطوى في ذلك الرمز الكبير

* * *

قال الشاعر الجاهلي طفيل الغنوي:

إن النساء كأشجار تبئن لنا منها المرار، وبعض المر مأكول

إن النساء متى ينهين عن خلق فيأنه واجب لأبد مفعول

وقد ألهم هذا الشاعر البدوي - ابن الفطرة وابن البادية - خلاصة قصة
الشجرة في بيتيه المطبوعين، وخلاصتها أن المرأة تغري بأكل العر الذي لا يساغ
أو لا يسوغ، وأنها تفعل ما تنهى عنه، فهو عندها «واجب لا بد مفعول».

وكل خلق كامن في المرأة يظهر من هذا الولع بالمعنوع

فلم كانت كذا؟ لأنها ضعيفة؟ لا. إن قبل ذلك خطوة نخطوها ثم نصل منها
إلى هذه الخطوة التالية.

قبل ذلك أنها محكومة، ثم هي محكومة لأنها ضعيفة، وما زال من دأب
المحكوم أن يحث إلى التمرد والعصيان، وأن يلتذ المخالفة للسيطرين عليه؛ لأنه
بهذه المخالفة يثبت وجوده أو يستوفي حياته، فهي عنده ضرب من حب الحياة.
«وأحب شيء إلى الإنسان ما منعه» كما قيل.

نعم إلى الإنسان كافة لا إلى المرأة خاصة، ولكن المرأة قد خضت بهذه الشهوة
لأنها محكومة لا تحكم غيرها إلا من طريق الإغراء، أو تنبيه النفوس إلى ما هو
«شهي، بهجة للعيون» كما جاء في العهد القديم.

* * *

كل خلق من أخلاق المرأة مرموز إليه في قصة «هذه الشجرة»، ومن هنا
اخترنا الإشارة إليها عنواناً لهذا الكتاب.

فالولع بالممنوعات خلاصة طبائع المرأة التي تنمى إلى أسباب كثيرة
ولا تنحصر في سبب واحد.

ولكن السبب الأكبر منها أنها تؤمر وتنهى كثيراً، وأنها تؤمر وتنهى لأنها أضعف
من أمرها ونهيها، ولا تزال معه أيداً بين لذة الخضوع ولذة العصيان، ولعلها لا
تعصى إلا لتعود كرة أخرى إلى خضوع أعرق وأشهى من خضوع البداية والارتجال.

ولا تولع المرأة بالممنوع لأنها محكومة وكفى، أو لأنها محكومة لضعفها واعتمادها على من يمتعها.

بل هي تولع بالممنوع لأنها تتدلل، ولأنها تسيء الظن، ولأنها تعاند، ولأنها تجهل وتستطلع، ولأنها موهونة الإرادة لا تطيق الصبر على محنة الغواية والامتناع. وكل أولئك عنوان لخصلة أخرى من ورائها: هي خصلة الضعف الأصيل.

هي تتدلل لأن قيمتها موقوفة على غيرها، أو معلقة بنظرة غيرها إليها.. فهي تحب أن تعرف قيمتها، ولا تعرف قيمتها إلا بمقدار ما تكلف الرجل من الصبر عليها واحتمال الدالة المحيطة منها.

والدلال نوع من الإيذاء، أو نوع من المخالفة والحصيان، وأغراء بتكرار الطلب وتكرار الممانعة.... ويتمنعن وهن الراغبات!

ولو لم تكن قيمتها معلقة بمشينة غيرها لما كانت بها حاجة إلى الدلال، ولا إلى تواضع الدلال من المكابرة والولع بالممنوع.

* * *

وهي تسيء الظن كما تسيء الظن كل رعية محكومة.

فالرعية التي طال عليها عهد التسلط والحكم تحسب كل أمر من الحاكم شيئاً يفيد ولا يعينها، وتحسب كل نهى من الحاكم مصلحة تهم ولا تهمها، واجتناباً لمحذور يسوء ولا يسوءها.

فيتبعن منها سوء الظن بداهة وفطرة كلما دعيت إلى فريضة أو نهيت عن محذور.

وتلج بها رغبة المخالفة بغير بحث ولا روية، بل تخالف ولها منفعة في الطاعة: لأن المخالفة هوى والمنفعة تفكير، وما زال الهوى في النفوس أقوى عليها من التفكير.

فالمرأة تحسب أبداً أن سيدها ينهها لأنه يريد أن يستأثر بها ويخشى من المزاحمة عليها. فتلك رغبته إذن لا رغبتها، ومتعته إذن لا متعتها، وهي إذن تنصف نفسها كلما تمردت عليه، وتحقق غرضاً لها كلما فوّت عليه غرضاً من أغراضه، أو هكذا توجهي إليها بداهة المخالفة بغير روية ولا بحث مفيد في حقائق الأسباب.

* * *

ثم هي تعاند عناد الضعيف.

وعناد الضعيف شيء آخر غير تمرد المحكوم، وإن كان كلاهما قريباً من قريب في العنصر الأصيل.

فالضعيف يتشبث بالحياة لأنه مهدد في الحياة، ومن تشبثه بالحياة تشبثه بالهوى، وتشبثه بالعادة التي يدرج عليها، ويخيل إليه أن الفناء في التحول عنها.

وفي الطفولة تشبث كثير.

وفي الشيخوخة تشبث كثير.

وفي الأنوثة تشبث كثير.

والخاسر على مائدة اللعب يتشبث بالبقاء عليها ولا يطيب له أن يفارقها، وكل أولئك باب من أبواب العناد المطبوع غير عناد المحكوم، أو غير الولع في الخاضع الدليل بالعصيان والإباء.

فهذا العناد وليد الخوف، وذاك العناد وليد الغضب، وليس الخائف كالغاضب في يواعث الشعور.

* * *

ثم هي تولع باليمنوع لأنها تجهل وتستطلع وتشبه الطفل الناشئ في غريزة الجهل والاستطلاع.

والجهل والاستطلاع مولعان بالهدم قبل الولع بالبناء.

فهما لا يذعنان إلا بعد معرفة يطول تحصيلها، وقبل الوصول إلى تلك المعرفة بأبيان الإذعان ويستريحان إلى الممانعة والتعويق والتعطيم.

* * *

أما ضعف الإرادة فهو عذاب بين يدي الغواية لا يخلص منه الضعيف إلا بمقارفة الشيء الممنوع، فينتهي بذلك عذاب الفتنة والإغراء والمصابرة والامتناع.

فإذا وضع بين يدي الضعيف قدح من الماء القراح وقيل له لا تشرب منه. شرب منه وهو غير ظمآن.

لأنه يريد أن يمتنع فتنازعه الرغبة، ويريد أن يكبح الرغبة فيعذبه الكبح.

ويريد أن يحتمل العذاب فيعيبه الاحتمال، فهو ضعيف مع الرغبة، ضعيف مع الكبح، ضعيف مع العذاب، ضعيف مع هذا التردد كله لا يريحه منه إلا أن يفعل ما نهى عنه، ويفض المشكلة بهذه النهاية.

فهو يشرب الماء القراح لأنه يفض مشكلة الامتناع عنه، لا لأنه ظمآن إلى الماء القراح.

والشيطان حين قال لآدم وحواء: ﴿مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَائِكَةً أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠]. قد ألهب في حواء كل علة من علل المخالفة والولع بالمستوحش، وسول لها الغواية والإغراء.

فأكلت وزينت لآدم أن يأكل مثلها.

تمت بذلك صفات الضعف كلها؛ لأن الإغراء علامة المشينة التي تصل إلى بغيتها من طريق التحسين وإثارة الشهوة في غيرها، لا من طريق الأمر والإخضاع أو من طريق الغلبة بالشهوة الطاغية على شهوة أخرى.

وكأنما لسان الحال الذي تنطق به المرأة في هذا المقام: إنك أيها الرجل تخضعني وأنا أغريك! أنت تخضعني بسلطانك، وأنا أخضعك بما أتيجع لك من «شهوة النظر وبهجة العيون».

* * *

فهذه الشجرة ...

هذه الشجرة التي أكلت منها المرأة لأنها نهيت عنها، والتي طعمت منها ثم أطعمت آدم معها...

هذه الشجرة هي عنوان ما في المرأة من خضوع يؤدي إلى لذة العصيان، ومن دلال يؤدي إلى لذة المعانعة، ومن سوء ظن، وعناد ضعيف، واستطلاع جهل، ومن عجز عن المغالبة، وعجز عن الغلبة بغير وسيلة التشهية والتعرض والإغراء. وهذه هي قصة «الأنثى الخالدة» كلها في كلمتين.

مخاوية المرأة

والولع بالإغراء والإغواء أخو الولع بالمخالفة والعصيان.
كلاهما دليل على رجوع الأمر إلى الآخرين.
فالمخالفة دليل على أن المخالف محكوم لغيره، والإغواء دليل على أنه يرجع
إلى غيره في العمل ويعتمد عليه.
فهما ثحرتان من «هذه الشجرة...» أو هما خصلتان من خصال الأنوثة الخالدة
في الصحيح.
تعرض المرأة وتنتظر، والرجل يطلب ويسعى.
والتعرض هو الخطوة الأولى في طريق الإغراء، فإن لم يكف فوراءه الإغواء
بالتنبيه والحيلة والتوسل بالزينة والإيعاء، وكل أولئك معناه تحريك إرادة
الآخرين، والانتظار.
فإرادة المرأة تتحقق بأمرين: النجاح في أن تراءى، والقدرة على الانتظار.
ولهذا كانت إرادة المرأة سلبية في الشؤون الجنسية على الأقل، إن لم نقل في
جميع الشؤون.
ولعل كلمة «لا» سابقة لكل نية تمتحن بها المرأة إرادتها وصبرها، فأحوج ما
تكون إلى الإرادة والصبر حين تنوى ألا تتقدم ولا تسلم ولا تجيب ولا تطيع.
وهنا تتصل هذه الخليقة فيها بخليقة العناد التي سبقت الإشارة إليها.
وقوام العناد كله أن يقاوم المعاند رغبة الآخرين وعمل الآخرين.
فالإرادة التي تتمثل في العزيمة مذكورة، والإرادة التي تتمثل في العناد مؤنثة،
أو هذا هو شأن الإرادتين في غالب الأحوال.

* * *

وليس للمرأة أن تريد غير هذا النوع من الإرادة لأسباب عميقة في أصول
التركيب والتكوين.
وموقف الجنسين من الاستجابة لمطالب النوع يهدينا إلى حكمة هذا القارق
من طريق قريب.

فالذكور من جميع الحيوان قد أعطيت القدرة - بتركيبها الجسدى - على إكراه الإناث لاستجابة مطالب النوع طائعات أو مفسورات.

ولا يتأتى ذلك للإناث على حال من الحالات الجسدية، فغاية ما عندهن من وسيلة أن يهجن الرغبة فى الذكور، وأن يجعلنهم يريدون ولا يستطيعون الامتناع عن الإرادة.

فهذا القارق ملحوظ فى أعماق التركيب الجسدى من كلا الجنسين، منذ نشأ القارق بين ذكر وأنثى فى عالم الحيوان.

رحمته ظاهرة كل الظهور: لأنها هى الحكمة التى توافق بقاء النوع وارتقاء الأفراد جيلاً بعد جيل.

فالإغواء كافر للأنثى ولا حاجة بها إلى الإرادة القاسرة.

بل من العبث تزويدها بالإرادة التى تغلب بها الذكور عنوة؛ لأنها متى حملت كانت هذه الإرادة مضيعة طوال مدة الحمل بغير جدوى.

عل حين أن الذكور قادرون إذا أدوا مطلب النوع مرة أن يؤدوه مرات بلا عائق من التركيب والتكوين، وليس هذا فى حالة الأنثى بميسور على وجه من الوجوه. وإكراه الأنثى على تلبية إرادة الذكر لا يضر النوع ولا يؤذى النسل الذى ينشأ من ذكر قادر على الإكراه وأنثى مزودة بفتنة الإغواء، فهما تتم للزوجين أحسن الصفات الصالحة لإنجاز النسل من قوة الأيوه وجمال الأمومة، ويقم للنوع مقصد الطبيعة من غلبة الأقوياء الأصحاء القادرين على ضمان نسلهم فى ميدان التنافس والبقاء.

وعلى تقيض ذلك لو أعطيت الأنثى القدرة على الإرادة والإكراه لكان من جراء ذلك أن يضمحل النوع ويضار النسل؛ لأنه قد ينشأ فى هذه الحالة من أضعف الذكور الذين يهزمون للإناث.

وكيفما نظرنا إلى مصلحة النوع وجدنا من الخير له أبداً أن يتكفل الذكور بالإرادة والقوة، وأن تتكفل الإناث بالإغواء والتلبية، بل وجدنا أن فوائد البنية قد جعلت السرور فى كل من الجنسين قائماً على هذا الأساس العميق فى الطباع. فلا سرور للرجل فى إكراهه على مطلب النوع، بل هو منخص له مضاعف من لذة حسه. أما المرأة فقد يكون استسلامها لغلبة الرجل عليها باعاً من أكبر بواعث سرورها، ولعله أن يكون مطلوباً لذاته كأنه غرض مقصود، بل هو فى الواقع

عرض مقصود لما فيه من الدلالة على توفيق الأنسي إلى إعواء أقوى المذكور ومن
إبداعات الفطرية أن تتظاهر المرأة بالآلام ولا تكسار في استحابتها للدور لأنها
نقطة بدايتها الأنثوية إلى هذا الفارق الأصير في خصائص الحسنيين.

وليس بنا أن ننظر في العدل الطبيعي بين خصائص الذكور وخصائص
الإناث وإنما نحس هذه الحقائق باملاحطة الصادقة والدلالة الواضحة
ولا يعني أن ينصب لها ميزان العدل في توزيع الطبائع والملكات

ولكن مع هذا لقوى تعود فنقول إن العدل هنا بين الحسنيين غير معهود، وإن
القسمة هنا ليست بالقسمة الصيرى

هنا قيل إن الحمل قد حثى على المرأة لأنه خصها بالآلم وحسن الإرادة من
نصيب الرحم، فلا ينبغي أن ننسى أن الحمل قد أتاح للمرأة حرية فطرية لا تتاح
لزوجها على وجه التقدير وهي صغار نسها بغير حمل ولا ارتياح. فكل من ولدت
المرأة فهو وليدها الذي يستحق عطفها وحباها، وليس ذلك شأن الإناث فينب
يعتد إليهم من الأبناء

وما من أم تسأل عن ألم الحمل إلا تبين من شعورها أنها تستعديه ولا تقرب
به وأنها قد تشعر بعبطة من الألم لا يعرفها الرجال الذين يثورون على الآلام
ومن اختزاج الألم بطبيعته المرأة أصحت انتفرقه بين أنها ولدتها في رعايه
الأبناء من أصعب الأمور

• • •

وعلى هذا بعن الرجل بأن يريد امرأة ولا تعثر المرأة بأن يرده لأن الإعواء
هو محور المحاسن في النساء، والإرادة الغالبة هي محور المحاسن في الرجال
ولهذا روت الطبيعة المرأة بعدة الإعواء وعرضها بها عن عدة العفة والعريضة
بل جعلتها حين تعب هي العافية في تحقيق مشيئة الحسنيين على لسوء
ولكن التفرقه في عدة العوابة واحدة بين ما هو من صفات الجنس كله وما هو
من صفات هذه المرأة أو تلك من أفراد النساء.

فقد تكون المرأة من النساء أدكى وأبرح من هذا الرجل أو ذلك فتأخذه بالحيلة
والدهاء كما يغيب الأذكىاء الجهلاء في كل مجال يتصاولون فيه
إلا أنها صفة فردية لا يعاس عليها عند مدان الصفات الحسية التي خصت بها
«المرأة» على التعميم

وهذه الصفات الحسية هي التي تعيننا في هذا المقام، لأنها «تراث المشترك بين جميع بنات جواء في مواجهة الجنس الآخر» وهو جنس الرجال والذي يساعد المرأة من قدر طبيعته على إغراء الرجل هو «الهوى الحسى» هي تركيب الرجل نفسه فلولاً هذا الهوى لكأنت حيلتها معه من أصعب الحيل وسلطانها عليه كأهون سلطاناً

ومما يرينا أن الطبيعة هي العامة هنا وليس المرأة هي التي تعمل بمردونها واحتمالها أن هواف في نفس لرجل شبيه بكل هوى يخموفه بحكم العادة أو القسوة فهو يعانى مقومة التدخين أو معاورة لخطر عناء يحده ويعبئه على مشيئته في كثير من الأحيان ولو كان للتعب أو للحصر لسان يتكلم لحاز أن يتحدث الناس عن لسانهما المنسول الذي يحلب اعقرى وعن حيلهما الباقية التي تسلب الرشاد.

والأداة البالغة من أدوات الإغواء والإغراء هي قدرة المراد على الرياء والظاهر بغير ما يخفيه

فهذه الخصلة قد تسمو فيها حتى يبلغ رتبة الصبر الجدير والقدرة على ضبط الشعور ومغايبة الأهواء، وقد تسفل حتى تعافها النفوس كما تعاف أقبح الخس والنفاق

أعانتها عليها روافد شتى من صميم طبيعة الأنوثة التي يوشك أن يشترك فيها جميع الأحياء

ومن أسباب هذه القدرة على الرياء أو هذه القدرة على ضبط الشعور أن امرأة قد رخصت رمت على إهداء حبها وبعضها لأنها تخفى لحب ألفة من المعاتبة به والسبق إليه وهي التي خلقت لتتبع وهي راعية، وتخفى أن يغص لانها محتاجة إلى الإدارة كاحتياج كل ضعيف إلى إدارة الأقوياء

ومن أسباب القدرة على الرياء أو القدرة على ضبط الشعور أن الأنوثة «سليلة» في موقف الانبطار، فليس من شأن رعاتها أن تسرع إلى الظهور والتعبير، أو ليس من شأنها أن تفتح بالظهور والتعبير كما تفتح رعات الذكور

ومن أسباب القدرة على الرياء أو القدرة على ضبط الشعور أن مغايبة الآلام قد عودتها مغايبة الخواج النفسية ما دام هي غنى عن مصاوغتها والكشف عنها ومنها أن اصطلاح الرياء أبدي استقر في خليقتها إنما هو في لبائيه اصطلاح

لكل ظاهر يحس بالأبصار و لأسماع ، و يحس بالانحسائر والأعهاد ، وهي لغة العربية توفيقات كثيرة هي انصاع بين الحقيقة المادية والحقيقة المحورية بكلمة وحدة ، ومنها كلمة «التحمل» التي تعيد معنى اسيرى للرأى العيون كما تفيد معنى انتزيع للرأى الذهوس .

ولرسوخ هذه الطبيعة الأنثوية في تكوين المرأة شغفت بالرياء لعرض تعبها ولعبر عرض تعبها في كثير من الاحوال كأسها وظيفة خبوية سسمع بالمعاجة والرباظة كم تسمتع الاعضاء بالمركبة والنبساط فالغش عند المرأة - كما قلنا في رواية سارة - «كالعظمة عند فصان الكلاب يعصها الكلب لعدال ويحرقها حيث يعود إليها وإن شبع خوفا من البر والحم والأعذية المشبهة: لأن نوقاً من السنين قد ريت أساسه رتكية على فمهم اعطهم وعرقها فهو يطلبها ليحده سنايه وركبه في القضم والعرق ولولم تكن به حاجة إلى أكلها والوفاء من السنين قد عبرت على المرأة وهي نحاف وتحتار وتوارع ونراي وتلع بمواضع الصعف في الرجال حتى أصبح بعض النساء ممن قويت فيهن عناصر الورائة وبررت في طباعهن عفويل الرجعة بشش الغش استذاذاً به وشحداً للأساس القديمة التي بنتت عليه ، وبسرهن أن يصنعن لشيء ويخفينه ولو لم تكن بهن حاجة إلى صناعه ولا إحصائه لأن المرأة من هؤلاء تشتهى العظمة بحوح عشرين ألف سنة ، وتشتهى اللحم واللبن بحوح ساعات» .

* * *

وقد يعين المرأة على الرجل غير الهوى وغير الخداع - خلق آخر هو في الحقيقة خلق يعين الرجل على نفسه وليس عمل المرأة منه إلا من قبيل الإنكاء والتبنيه

قالمرأة «مكر» للرجل كما جاء في القرآن الكريم

ولا يطيب للإنسان أن يجد من سكه أو يتحافى عن الهدوء والطمانينة فيه ولا ننم سعادته به إلا أن يبقى عنه الحذر ويقل عليه بجمع مؤاده وطوية صميمه هو الذي يجمع عينييه بديه ويسننيم إلى ارتقاء هرياً من السهاد ونصف ما يعمل من خداع إنما هو الخداع الذي تسعه بيميه وخرمه بتلفيقه ، وكذلك المرأة إذا تعلق بالرجل كانت أسبق منه إلى انصديق وكان خداعه إيها أسهر من خدعها إيها

ومن عوايات المرأه الكيرى أنها قصبة السبق فى حلة التنافس بين الرجال
فالظفر بها يرضى كل شعور بحبك بقلب ابرحل، سواء منه ما يتماوله ببدركه
ووعيه وما ليس يدركه ولا يعيه

وبدأ يختلف أصحاب المذاهب الفلسفية فى جعل نوارع الحياه التى تفسر بها
أعمال الناس وترد إليها، فعان بعضهم إنها طب القوة، وقال غيرهم إنها طلب
البقاء ورعم غير هؤلاء وهؤلاء إنها طلب اللذة، وجاء آخرون فى العصر الحاضر
متعلعلوا بالنوازع لحيسية وراء كل غريزة وبدوا بها إلى كل سرهات عن سراديب
لنفس الحفية

ويأ كان موضع الصديق من هذه النوازع فالمرأة معها جميعا تطلق شعور
القوة وشعور البقاء وشعور اللذة وتتقصى وشائج الجنس إلى حدودها الكامنة فى
أعرق بواطن الحياه.

وما الظن بقصده السبق الذى تستطيع ان تستمدى من تشاء ونشأى عن تشاء؟
إن المتسانقين ليتأخروا على القصبة لخرساء وهى لا تحكم لهم بشيء
ولا تفصل بين يمين ويمين، فالمرأة تلك القصبة التى يجبى وبجانبى -
حرية ألا تبقى فى عرصة عاد بقية من دورع السباق

* * *

تلك هى بعض عناصر العوامة الأنثوية التى يملكها لمرأة من حيث تدركى
ولا تدركى

وكذلك نبات الثمرة الثانية .. «هذه الشجرة»

فالمرأة مرودة بوسائل الخواية، موكلة بالمخالفة والامتناع

هى بعوى لأنها يبقى أن ترد، ولا يفتنى أن تريد.

وهى تشتهى المخالفة لأنها تؤمر وتنهى، أو لأنها رحمة بإرادة الآخرين.

وهذا رذات ثمرتان على شجرة واحدة . هى «هذه الشجرة»

جمال المرأة

ما الحمل

الحمل كما يفهمه في غير هذا لكتاب هو الحرية

وليس بما في هذا الكتاب أن يتوسع في شرح معنى الحمل من الوجهة الفلسفية ولا من الوجهة العلمية، لأن هذا التوسع يخرج بنا إلى «ما وراء الطبيعة» وينتهي بنا إلى التنكير والتجهيل بدلا من التعريف والتقريب.

محسنا من توصيح الصلات بين الحمل والحرية ملاحظه وحيرة تعنى عن كثير، ولا عني عنها لمنهيد إلى معرفة الحمل كما يتحلى في وظائف الأعضاء، أو كما يتجلى في المرأة على تخصيص

عمر المتفق عليه أننا لا نعرف شعورا إنسانيا يناقض الشعور بالحمل كما يناقضه الشعور بالحر والامتناع، واحتباس الفكر والباطن والإحساس

ولا نعرف شعورا إنسانيا يوافق الشعور بالحمل كما يوافق الشعور بالانطلاق والاسترسال، وأطراف الفكر والباطن والإحساس

فلا يكون الحمل أبدا في معناه بعيدا من الحرية

ولا تكون الحرية أبدا في معناها بعيدة من الحمل

وهذا تقارب الموضوع من الطرف الآخر إذا دكرت أن الحرية المقصودة هي بقيص الفوضى، كما أن الجمال بقيص الاضطراب والاختلاط، فالحرية تستلزم الاختيار والمشيئة

وليس الفوضى اختيار ولا مشيئة ولا غاية

وهذا ابتعاد بين الجمال والفوضى من طرف، وبين الحمل والحر من الطرف الآخر هو الذي يرجع بنا إلى التوحيد بين الجمال والحرية، لأن الحرية كذلك تناقض الحر وتناقض الفوضى.

• • •

وبزيد الأمر توصيحا فنقول: إن الحرية التي تمثل الحمل هي الحرية المقرونة بالأوزان والقوانين

والحرية بغير أوزان وبغير قوانين هي القوضى بعبئها وهي ليست بحرية
على الإطلاق، لأن الحر هو صاحب الاختيار أو صاحب مشيئة أو صاحب العادة
وليس للقوضى غاية، وليس لمرء فيها حقيار ولا مشيئة

وبها يتبين لك مقدار حريتك إذا عملت بين الأوزان والقوانين فاللاعب لظاهر
صاحب مشيئة وصاحب قدرة إذ سر على الحيل الممدود واستطاع المسير في
خفة وطلاقة، والشاعر صاحب مشيئة وصاحب قدرة إذا عبّر عن معده في
الأوزان والألحان، واستطاع مع ذلك أن يقول ما يريد

لأن الأوزان والقوانين هنا هي معيار حريته الذي يبين له ما عنده من قدرة
وحرية في الحركة.

وهذا هو الفرق بين القيود الدمية والأوزان المستحبة القيود تقضي على
الحرية والأوزان يبررها في صورتها التي تعزز المشيئة والاختيار

وهذا أيضا هو الفرق بين الحرية والقوضى، لأن القوضى حركة لا غاية لها
ولا مشيئة، ومن ثم لا حرية بها ولا معنى

ولا تعريف - من ثم - لحمال أقرب من تعريفه بأنه هو كل ما يملئ بنفس
في الشعور بالحرية الموروثة، وكل ما يجنبها الشعور بالقوضى أو الشعور
بالامساع والتقييد

• • •

هيل إن الحمال هو التماسك وهو قول صحيح ولكنه يحتاج إلى قول صحيح
آخر يدمه ويستقل به خصوه أخرى إلى طريق انصواب

فالحمال يوحد مع التماسك كما يوحد في عدد التناسك، وجامع بين
الجماليين هو حرية الحركة في كلتا الحالات

لا تماسك في كلب لصيد الأعرج المعقوف الهريل، ولكنه يعطى لحركة
الحقيقة الموزونة في تركيبه هذا فهو حمير

ولا تناسك في شكل الرافعة بالقياس إلى غيرها من الحيوان ولكنك إذا
تصورتها كالحصان أو كالأسد تصورت عائقا لها عن تدبير أمرها وتناول
طعامها من فوق رأسها ومن تحب قدميه وهذا العائق يباقي شعور الحصان
فإذا زال لم يكن بينك وبين الشعور بجمال الرافعة عائق من امق بلة بين شكلها
وأشكال غيرها من الحيوان.

وهذا قد يسأل السائل هل معنى ذلك أن الجمال هو أداء وظائف الأعضاء،
والحبيب لا ليس الجمال هو أداء وظائف الأعضاء، ولكن وظائف الأعضاء هي
الحسم الحي كالوزن في القصيدة وكالحب تحت قدمي الالعب وكالألحان في
لغة، فهي التي تقيم لنا الفارق بين الحرية والقبوضي، وهي لمعيار الذي يعرف
به حرية الحياة في الانتفاء والتوفيق بينها وبين ما تبعه
فولاً وظائف الأعضاء لكاتب الحياة حركة فوصي لا عية لها ولا حرية فيها
وبكيتها - بوظائف الأعضاء - هي حركة لها حرية ولها وزن ولها جمال كلما
طابقت هي حركتها معنى الحرية الموزونة

* * *

وقيل إن الجمال وبند الغريزة الجنسية، كما أشرفا إلى ذلك في كتاب
«المراحمات»

وأصحاب هذا الرأي جماعه من الأطباء والعلماء الطبيعيين يمثلهم ماكس
ثورندو حيث يقول

«كل أثر يصبه في الدماغ - بأي شكل من الأشكال - مركز التفاضل سواء أكان
هذا لتعبية مباشر أم اتفا من تداعي الفكر وتساور الخو طر فهو الأثر الحميل
وصورة الجمال الأول في نظر الرجل هي المرأة في سن النضج الحسي
والاستعداد لتحديد المسل أي المرأة في عتفوان الشباب والصحة

في محصر هذه المرأة يحتلج مركز الغريزة النوعية من نفس لرجل بأقوى
الإحساسات وأشد لخواطر، وتثير رؤيه (الطاهرة) ونصورها عنده أقوى بواعث
السور التي يمكن أن تستفاد من محرر النظر أو النصور وقد تعود الطبع أن يقرر
بين صورة المرأة وفكرة الجمال، فيغريه السور الذي يستمد من ذلك بأن يصور
كل ما يروقه أو يرى فيه معنى من معنى الجمال في صورة امرأة. علامة
ولشهرة والصدق والمحيمة والحكمة وعيرها إنما تمثل الحواس في هبته
مؤنثة، ولكن لا أثر لكل ذلك فيما تدركه المرأة وبصوره، لأن رؤية شخص من
حسها لا تحرك بأي شكل من الأشكال مركز المسل من غريزتها، ولا نجد لعثر
الأعلى للجمال إلا في ارجس، أما ما يشهد من أن امرأة تكاد تعيس العمل كله
بمعياس الرجل مسببه أن الرجل لتفوقه عليها في القوة يستطيع أن يوحى إليها
برأيه وأن يسيطر على أفكارها التي تخاف فكره ومع هذا يرى في الواقع فكرة

الحمال عند الحسنيين تنقارب ولا تقمائل كل الحمائل، ولو أتاحت للمرأة لقيرة على الاستقلال بانطوار وتحليل م تشعريه ووصف م يدور بوجدانها لأثبتت منذ زمن بعيد أن مذهبها في الحمال يختلف من وحوه أساسية شتى عن مذهب الرجل فيه» وهذا لرأى تبطله ملاحظات وحيرة لأنه أقرب الآراء التي ليست في تحليل الحمال إلى البطلان

فلا يمكن أن تكون الغريزة الجنسية هي الحمال، لأن غريزة الجنسية معها تستعين بالحمال لختيار امرأة من امرأة وتفضيل أنثى على أنثى ولا يمكن أن تكون الغريزة الجنسية هي الحمال، لأن الغريزة الجنسية واحدة والحمال حتى في الحارحة الواحدة أشكال وألوان

ولا يمكن أن تكون الغريزة الجنسية هي الحمال، لأن الغريزة الجنسية هي واسعة تحديد الحياة ولن تكون الحياة نفسها خلواً من الحمال قبل ما يساورها من طلب التجديد

ولا يمكن أن تكون الغريزة الجنسية هي الحمال لأن حظ الأحياء من الحمال أو من الفطنة له ليس على مقدار حظهم من غريزة الجنسية ولا يمكن أن تكون الغريزة الجنسية هي الحمال، إن امرأة ليست بالحمية لأنها امرأة، وإنما هي امرأة ثم يضاف إليها وصف الحمال

وقد عرصد لمدى نوردو المتقدم في فصل من قصور كتابنا «امراحت» وأتينا ببعض الملاحظات التي توجب مخالفته ثم قلنا «إن الغريزة الجنسية لا ريب من أقوى الغرائز تعرف وتوزعاً في جوارب الإحساس ودخائل التفكير، وإنها ولا حدل على اتصال وثيق بشعور الحمال ومطالب الفنون لا تراها مدعرة عنها فيم ينظمه الشعراء ويمثله المصورون ويحيه المنشدون، ولكن ليس معنى ذلك أنها هي أصل كل شعور يا جمال وأن الحياة نفسها لا جمال بها إلا من حيث إنها علاقة بين ذكر وأنثى ووسيلة لإعطاء الحياة لمخلوق جديد، فإن الحياة عاياه، لغريزة الجنسية ولست هي الحسر الذي يعيره إلى الحب والحمال فإن كانت الحياة في ذاتها خلواً من معنى جميل أو مقضباً عليها بالحرمان من رؤية الكون هي هيئة تسره وترصدها وتوسع لها من أكشاف الأمن وتصاعف لها من بهجة الوحود بأي شيء يريد عليها من انقسام الأحياء إلى قسمين أو جنسين» ثم ما فصل البقاء المشوه الذي تنوبس إليه باختلاف دينك القسمين أو دينك الجنسيتين؟

أما أما بتصور الأئمة والشهرة والصدقة والمحنة والحكمة وغيرها في صورة مؤنثة وإنما يدل على أن لجمال في أهداف معاني كثيرة غير معني الأئمة. وأما تصور تلك المعاني في صورة امرأة لأنها «الشخص المحسوس المحبوب» الذي تغمر القلوب على إيمانه للعبس وبولا ملك مما جار التشابه بين مثير المعاني في الدهن ومثل المرأة في النظر. ما دام المرأة قد استأثرت بكل صفات الجمال في هذه الحياة

ويقاب هذا أنك تصور الخواطر القوية في هيئة الرجولة ولا يستخلص من تصويرها كذلك أن العلاقة بين الرجل والمرأة هي أصل كل ما في الحياة من بأس وقوة، وسبب كل ما ينصوبه العقل من عسرة وسهولة. على أن تماثيل الرجال في الفن اليوناني والروماني لا تقل عن تماثيل النساء، والإعجاب الفني بحسن جسم الرجل لا ينفصل عن الإعجاب الفني بحسن جسم المرأة فلماذا يعجب الفنانون بامله الجمال في أجسام لرجال إن كان في عريتهم إلا يحسن الجمال ولا يخيلوه إلا في أجسام النساء؟»

. . .

غير أننا إذا قمنا أن الغيرة الحسية هي الجمال أو هي مصدر الشعور بالجمال فلا يستلزم ذلك أن تدعى العلاقة بين شعور الجمال ووظائف الأعضاء لأن الرجوع إلى وظائف الأعضاء لأرم لقياس حرية الحياة هي أداء تلك الوظائف على وجه لا نقصان فيه ولا زيادة.

ومثلها في هذا - كما قدمنا - هو مثل لأوران ويحور التي تقاس به حرية الشاعر في التعبير وقدرته على التصرف بالمعاني والألفاظ

أو هو مثل كل وزن وكل نظام مطرد في من من القلوب المحمية ليس مكانه أنه قيد عائق معطل للحرية، بل مكانه أنه مقياس لحرية الذي يميز بسبب وبين القوصي المطلقة بغير وزن أو نظام وإلى غير غاية أو استقامة

ومتى عرفت أن وظائف الأعضاء هي مقياس الحرية والجمال في جسم الإنسان عرفنا كيف يكون جمال المرأة أو كيف ينبغي أن يكون

جسم المرأة جسم تابع وليس بالجسم المستقل الذي لا ينظر في تكوينه إلى

غيره

حسم الرجل الجميل حمل انكوين لذاته لا لأنه منطور فيه إلى مخلوق آخر
يتوقعه عليه

هو اجمال في صورة الاستقلال

أما حسم امرأة فقد اشدها وفيه الرحم ادى يحسن الحنين وفيه تركيب
الحوص لدى يختلف به قوام امرأة وقوام الرجل في مراح احسان مع
اختلافهما بالكعبين والصدر والتفقس تبع لذلك الاختلاف، ومع اختلافهما تبعاً
لذلك الاختلاف أيضاً بما تحت البشرة من طبقة دهنية لا شك أنها مفصلة في
جسم المرأة لحماية الحنين

فهذه التبعية واحدة في ملاحظة حسم المرأة والحكم عليه

وتحضر في هذه الصدد نماذج ثلاثة لجمال لعبها هي الممارج الانسانية
التي تستحق العذبة بها عند كل بحث فيه

وهي النموذج العصري، ونموذج العرب، ونموذج ليونان

فالعصر الحاضر عصر الخفة والآلة السريعة والقصد في الوصول إلى الغاية،
يميل إلى التخليف من جسم المرأة ويبياع فيه ويؤدي به المبالغة أحياناً إلى
الخطأ والعجلة وبسيان الفروق الطبيعية في سائر المظاهر الصناعية فيكاد أن
يسوى بين قوام المرأة وقوام الرجل وهي تسوية تقرب به من أنتشويه لإهمالها
النظر إلى وظائف الأعضاء. ويكاد أن يحصر الحمال انساني كله في قالب واحد
يشبه القوالب القديسة التي حمد عليها فن الفراعنة في أطوار الركود والاضمحلال
والعرب أصبح دوقاً من المحاكين المحترفين في العصر الحاضر، لأنهم يصغرون
المرأة الحميلة كما ينبغي أن تكون

فكعب بن زهير أصبح من معاهد الحمال انصريه حين يقول في وصف مثال
الصعاء عنده وهي «سعاد»

هيفاء مقبلة عجاء مدبرة	لا بشكى قصر منها ولا طوى
ومثله عمر بن أبي ربيعة حين يقول	
إني رايتك عادة خمصانة	ويا الروادف عذبة مبشاراً
مخطوطة العتيرين اكمل خلفها	مثل السبيكة بضعة معطاراً

أوحين بقول

أهت الرواقف والثدي لقمصها من البطون وأن تمس ظهورا

هالدوق العربي أصبح من دوق الالة السريعة في العصر الحاضر كما اسلفنا في كتاب شعر القرن حيث قلنا إهم » كانوا يستصنون من حمص المرأة الوضحة والهيبة والرشاقة والخمر ويشيدون بهذه السمات في كل ما روى عنهم من عمل ابتداءً، وكسوا يحبون مع الهيبة والرشاقة أن تكون المرأة بارزة اليهود والبرودف، وهو دوق لا يخرج بهم عن سوء الفطرة كما يقتنه لب حب الحمير وعلم وصانف الأعصاء قوم في ذلك أصبح دوقاً من سادة التجميل المعاصرين الذين أوشكوا أن يسورا بين قامة المرآة الحميلة وقامة الرجل الحمير في استواء الأعصاء. فيما يعيب المرأة عصوباً أو - فريونحياناً - أن تكون رسحاء صئيلة الردف، إنها خلقت بحوض عريض ملحوظ فيه تكوين لحين قريباً كانت صحيحة اسبية سوية الخلق وحب أن تكتسى عظم فحذبتها وعحيرتها، وأر يمتلئ فيها هذا الحانب من حسنها، وإلا أنثر هواله إلى افة في تكوين احسم لا توافق حسنة الحميل وكذلك يستحسن الخصر الدقيق في المرأة، لأن صحامة امعدة قد نوى الجين ويصعظ عليه في الرحم وتشير إلى اسريد في الطعم فوق ما تستدعيه وظائف الحياة في جسم الإنسان»

أما لدوق الدرباني فقد نظر إلى التكوين اسبين وميره على التكوين الرشيق، فكان وسطا بين المثل الأعلى بحمص المرأة عند العرب والمثل الأعلى لحمالها عند المعاصرين

وقد تلتقى الادواق إذا تركنا المثل الأعلى جانباً وبطرباً إلى الامثلة الشائعة في عصور الحضارة عند هذه الأمم جمعاء

فانترف رجب الظهور بانوفر و لراحه قد حب إلى العرب بمارح لبصاصة وانرخاصة موصفوا لك أحياناً مثلاً من الحمال الكسل امتناقل يعاب في الدوق السليم واليونان قد حفظوا لك تصائيل رشيقه احسم المرأة، لأنهم مرجوها بالرشاقة الغلامية التي كسوا يعمدونها في أجسام فتية ارياصمة وألعاب المروسية

ومحاميح الصور لمشهورة في العصر الحاصر لا تستغنى فيما تعرضه بين حين وحين عن نماذج العرب ونماذج اليونان

ومن الواجب على كل حال أن نذكر أن احسم الحميل غير احسم اللذذ وغير

لجسم الصحيح وغير الجسم القوي و غير لحسم النافع، لأن الحسم قد يكون بفعلاً و قوياً و صحيحاً أو سيئاً وهو في كل ذلك غير حميم.

قيل لبعض الحكماء إن فلاة كبيرة البطن صحة التدين فإنا «نعم حتى تدعى الصحيح و يروى الرصيح» فهذا وصف سابق لحسم السافع ولكنه لا يستلزم جمال الحسم لموصوف كما يقال إن هذا الكساء يدعى صاحبه ويعيش سنوات ولا يستلزم تلك حماسة فيما يكون به جمال الكساء

ووصف في الشعر العربي وشعر الأمم كافة بما ج من الأجسام المشبهة كم مثلت هذه الأجسام كثيراً في الصور والمثابيل

فإذا كان هذا واشباهه وصف لشئ فهو وصف للجسم الشهي أو الجسم البديع، وليس بوصف لحسم الحمير على اعتماد الحمار معنو من المعاني التي تفسر بالإدراك كم بقاس معنى لبيب البسيم، ومعنى الصورة أبارعة ومعنى التفات استقن، ومعنى الحيدل المجرد، ومعنى الحسم البعيد.

ولا ينسب إلى الجسم الحميل يشتهي ولكنها تريد أن تذكر من ينسب أنه ليس بالحميل لأنه مشتهي أو مريض بغريزة احسية بل هو حميل لمطباته معنى الحمال في الإدراك، وهو الحرية الموزونة

والرجال في تنصص الحسم الشهي أو الجسم اسدد مذهبان مختلفان رجل عبده عاده الاستحسن كعاده التدخين، فهو يألف طاراً واحداً من المرأة كما يألف المبحر لعيفته المعهودة، فلا يغيرها ولو كان الخلاف بينها وبين غيرها كالخلاف بين علامة لعل وعلامة لخلطة السعيدة، وهما من أصل واحد

فهذا لرحل إذا استحسن المرأة لطولته لم يعجبه القصيرة، ولو كانت لها ملاحاة وبضارة ومتعة وحلاوة

وإذا استحسن السمراء لم يعجبه البيصاء، أو استحسن بنت العشرين لم تعجبه بنت الثلاثين أو استحسن المصرية لم تعجبه الإنجليزية أو الروسية، وهما معجبتان

والمذهب الآخر في تفضيل لجسم الشهي أن يستحسن الرجل النساء كما يستحسن المأكهة أن كم يستحسن صباح الطعام، والمعول على صناعة الطهي وعناية الأوس، فالنجاح مقبول، والبرقوق كذلك مقبول، والتين لا يرفض والجوز لا يعاف، والشواء مستطاب، والسك المصح له وقت يجوز استهاوه فيه

« * »

وسبغى التعرف على كل حال من هذه الأقسام حين ينظر إليها لهذه
الأقسام حين ينظر إليها بالحال

لأن الجسم واللذيق قد ينفقان، ولكن الحال واللذيق قد يتماقضان فتكون اللذة
تغلبا لحسد ويكون الحال تغلبا لمعنى، وهو كذلك في كل مظهر وفي كل حال
فالجسم الجدير هو الذي تزن فيه وظائف الحياة بغير زيادة ولا نقصان لأن
الزيادة فضول غير مطلوب يشير إلى دافع واعل لا تستدعيه وظائف الحياة ولأن
النقصان آفة مكرهة تشير إلى تقصير وتقصير.

وآية الجسم الجدير أن تبهض أعضاؤه حرة سلسلة ميسورة الحركة لا ترى
عصوا منها عالة على سائر لأعضاء، يخيل إليك أن كل عضو فيه يحمل نفسه غير
محمول على سواه.

ومن هذا حمار لرأس الطامح، والجيد المشرب، والصبر البارز، والحصر
المرهف المشوق، والساق التي يدرك من خفتها واصلاتها واستوائها أنها لا
تحمل شيئا من الأشياء، ولا تنهض بعد من الأعباء

من من هذا جمال الحيوان الأعجم وجمال المهر الكريم وقد اختال بعينه
وشال بذيله وضمربده وأصبح في أحمله كالكلام المختصر المفيد، والكلام
المختصر البليغ، لأنه يبلغ حيث شاء

والجسم الجدير الذي يشهد على هذا المروا تراه العين ولا تحس أنها أدركته،
لأنها إذا أدركته تأملت فيه وسرحت في معانيه، فإذا هي بعيد بعيد أبعد من
الفرش الذي يقع عليه الطفل فإذا هو على العصى، ويثبت فيه في عصه فإذا هو
في الهواء

هو مدرك نفوس وأرواح وليس بمدرك نظرات وبمسات، ومن هذا قلنا إن
الحمار واللذيق قد يتماقضان لأن الحال معنى يعرغه على حسد، واللذيق جسد قبل
كل شيء

ولن يميز هذا الفرق في شيء كما يميز في الحركة الحميلة من الجسم
الجميل أي في الرقص العنق الرفيع.

فالبراقصة وهي تتمايل كما تريد على أطراف صابحها ترتفع بالجسم إلى عالم
المعاني التي تسخر المادة لحركاتها ولا تحس بقاسر الحذب الذي يتسلط على
الأجساد الأرضية من الأحياء وغير الأحياء

فهى هذا كاستماع الذى يحظر له انمعنى علمى له حسف من الالفاظ مطيعاً
معناه أو كالمثال ادى بسبع هى نفسه الحمال فيلتبس له قابلاً من الدنى
الحسان يفرغه عليه، وكالخطر الذى يطفى من عالم الأتقان والضرورات إلى عالم
لا ثقل فيه ولا ضرورة

أو هى تطوع الحسد بحركة الحرة، وهى حرة لأنها موروثة تدل على المشينة،
ولو لم تكن موروثة لما كانت لها غاية ولا مشيئة ولا كانت لها حرية ولا حمال
وإما تكون هى «لعوصى» بغير وزن ولا اخير ولا حمال

هذه الحركة احمسة من ذلك الحسم اجميل تطبق الناظر فيها من عام
الأجساد إلى عالم المعانى والأفكار

وعلى بقصر ذلك حركة الحسم الذى يستهوى الله فيبقى المعانى والأفكار
ويقيد بها بالحس والمادة والأبدان

ويختلط الأمر فى هذه الفوارق بين الأحسام الجميلة والأجسام اللذيذة كلما
هبطت الأمم من أوج الحرية إلى حضيض المهنة والخصوع

فالمصريون فى عظمتهم الأولى قبل آلاف السنين كانوا يستحملون من
لأحسام كل حر رشق، محفلون لأمثلة العليا لحمال تلك الصور التى يوشك أن
تصير من لخرة، كما تراها على بقايا لأثر

ثم هبطوا من أوج الحرية إلى حضيض المهانة والخضوع فركدوا ركود البطء
والكسل، وأصبحت الكثافة الواهنة عندهم مقياس الملاح والقسامة، وأصبح
حمل المحس أو «التحتروان» مثال الحس المطلوب فى لساء تغلو المرأة
السمينة وتهبط هى مشبهها وما سيقول شيئاً واحداً فى أقل من خطوتين،
والمقرطون من حولها يهللون ويكبرون ويبركون الخلاق لعصم، ويعودون هذا
الجرم الذى لا تمضى فيه السيوف من لحظات لعيون ومن حسد الحاسدين

ثم ثاب العام كله إلى مذهب المصريين الأقدمين فى جمال المحافظة والرشاقة
والسج الدقيق، وشاع هذا المذهب بعد الحرب انعامية الماصية أشد من شيوعه
فى زمن من الأرمال، حتى غلا بعضهم فأوشك أن يلتمس الجمال فى الهياكل
العظيمة، وهى على أية حال أقرب إلى الجمال من هياكل الشحوم واللحوم

وما تحسبها نوحه من نفحات العن العلوى هبت محاه على أرواق الناس فى
العالم كله فأصبحوا جميعاً من صاعة التماثيل الملهمين فى هذه المنحآت أعلى

وأرفع من أن تكاف جزافاً لملايين من الخلق في المعارف والمشردى وبين
الأدكياء والأعتياء، وعند من يحسبون ولا يحسبون
ولكنها «الطيارة» قد أتت مدب السركة فى كل شىء والسركة والخفة لا
تتوهان، والسمنة لا تتفقان
وهكذا تعلمنا الآلات أحياناً كيف تشعر وكيف تتذوق الجمال، وكيف تصحح
الأدواق

• • •

والمرأة الحسية بعدد ليست بشىء واحد يفس بمقياس واحد فى كل ما
تبدىه وكل ما تحتويه، لأنها جملة محتمة من الأشكال والألوان والحركات
واسعاً يفس كل منها بمقياس الحساس الذى قد صاها، وهو الحرية الموروثة
وتستطيع أن تقول «الحرية» وكفى، لأن الحرية كما قد صاها تستدعى الوزن
والقانون، ليظهر فيها المشينة والغاية، وهما قوم الاختيار الذى لا تكون الحرية
بعيره، وليتصح لفرق بينها وبين الفوضى وهى أقرب إلى انعدم منها إلى الوجود
ولكننا نقول الحرية الموروثة تقريراً بهذا المعنى وتبييناً للقدرة التى هى معيار
الحرية ومعراج الارتقاء فيها، فبفائس الذى يعبر عن شعوره فى النظم الموروثة أقدر
على القول ويبر عن حرية انتصرف فيه من يفور قد القول بعينه فى الكلام المستور
ويقاس كل جميل فى المرأة بهذا المقياس فأحمر لوظائف هى الوظيفة لى
تحرى إلى عاينها فى جسم لا قصور ولا نقص فيه، وأحمل الحركات والألوان، أو
أحمل الحركات والأشكال تحمل وترتقى إلى عالم المعانى كلف أطلعت فى النفس
شعور الحرية بين الأورن أى كلما ابتعدت بها من شعور الفوضى وشعور التنبيه
إذا اتفق للمرأة لون جميل وشكل جميل وحركة جميلة فتلك غاية الغايات
لنى قلما تدرك فى العالم المحسوس، وقد يتفرع اللون على ألوان والشكل على
أشكال والحركة على حركات، فلا ينبغي أن ترجع بها جميعاً إلى مقدس واحد
لأن المرأة فى اللغة مخلوق واحد يعرف بهذه اللفظة الواحد

ومتى أحضرنا هذا فى أخلاصنا فقد حسبنا للتباقص حسابه فى بعض
لأحكام على جمال النساء فقد تكون المرأة على جملة موصوفة بالجمال
وفىها حسب يخالف معنى الحرية والاتزان فبالم الحكم الصحيح على جمالها أن
يقاس هذا الجانب بمقياسه ولو خالف فى الحرية والابزان ما عداه

وكذلك يقال هي قياس انقص او العيب كلف شعريا به ورجعنا الى سببه فمن
 يكون سببه إلا أنها تشعر إزاءه بشيء من التقييد واختلال الميزان
 فتعيب المرأة القصيرة، وإن تمت لها محاسن الوجه والحركة لأنها توحى إلى
 الشعور بعائق يصدها عن بنوع القوام المعهود في النساء
 والمرأة التي تطوى كفاها أو قدمها تعاب، لأن طوي لكف أو طول القدم يوحى
 إلى النفس أن تنتمي قواماً أطول من هذا القوام، فتشعر بالعائق المانع حير تنظر
 إلى القوام فإذا هو دون ما تتماشى وليست قلة التدنس هنا هي علة النقص
 والعيب كما يحظر للدين يحسبون أن التناسل هو الحمل فإن قلة التناسل لا
 تصايقنا إذا هي مع تفتت الشعور التعويقي والامتناع، كما قد رأينا في حثان
 الرافعة وكلب الصيد

والقوام لحميل حسن في البياض والسواد على السواء حيثما نضربا إلى الشكل
 والحركة دون الألوان والشتات فإذا تحاورنا الشكل والحركة إلى الألوان والشتات
 فالبيضاء أسى لا يجلبس به شعاع من لمور ولا صمعة من اللون أحمر من البياض

• • •

وصفة انقوى في ذلك جميعه أن الشعور بالحركة الموزونة هو الشعور
 بالحمل

وأن وطائف الأعضاء هي الميزان لدى نوري به احربه في أجسام لأحياء، من
 الرجال والنساء

وأن تكوين امرأة على حسب وطائف أعضائها ملحوظ فيه تكوين المخلوق
 الذي تحمله في أحشائها وتكوين المخلوق الذي يسهويه بصلاحيها لخدمة
 نوعها وحملها على هذا حمل تابع مصاف وليس بالحمل الذي سنقل
 بالكفاية والتمام

• • •

ويلحق بالكلام على حمل المرأة كلام متصل به عن شعور امرأة بالحمل
 فمن سهو الفكر أن يعتقد بعض الناس أن المرأة أخبر بدوق الحمل لأنها
 حميلة هي أعين الرجال

وموضع هذا سهو طاهر لا يحتاج إلى تأمل طويل. فليس باللازم من اتصاف
 بشيء بالحمل أن يتصف بدوق الحمل أو يشعر به أحسن شعور أو أقل شعور

فالحوتة حميلة ولا حس لها ولا حبة، وهي الحيوان ما هو حمير ولا دراة
له بدون احمان، ومنه ما يعنى ولا يفقه أسرار لغواء

فجمال المرأة هي عيني الرجل لا يستلزم تفرقها في حس الاحمال وتمبير
شباته والوانه ولعل تمييز الاحمال لا يعنى إثاث الإنسان كما يعنى ذكره لأن
المرأة تستمال بقوة الرجل قبل أن تستمال بمحاسن وجهه ومראה، فهنا نعنيها
منه لصحة وقوة وتميز ملامحه، كل لمحة منها على انفراد، خلافاً للرجل الذي
يؤخذ بأثر ملامح المرأة هي حملتها قبل أن ينظر إلى تفصيلها

وهو فارق معقول على حسب انفرق بين موقف الرجل وموقف المرأة في تلبية
اعريته الجنسية فالرجل عليه ان يلتفت لأب هو الذي عنده أن يختار، ومن ثم
كان من الضروري لانتعاشه أن يلصح جمال المرأة وان يؤخذ بآثره على الاحمال
والمرأة ولا سيما المرأة على فطرتها الاولى تنظر دورها الطبيعي وهو
التسليم للعالم السابق من الرجال. فسواء لديها أن تتأثر بملامحه أو لا تتأثر بها
بعد أن تأثرت بقوة وعليه، وأب يبقى بها أن تمير ملامحه على حسب صحتها
ومنفعتها لا على حسب أثره الحاصل في عينيها فتعرف مثلاً جمال العين
وحمال الأنف وحمل الفم كل منها على حده ولو لم يكن لها أثر خلاب وهي
منظورة هي جملتها.

ويبدو أن ترى رجلاً يسمى الأثر المحمل من النظرة الاولى هي سبيل جمال
الأعضاء والحوارج على التفصيل

وعلى نقيض ذلك يبدو أن ترى امرأة تسمى جمال الأعضاء والحوارج على
التفصيل هي سبيل الأثر المحمل بالفاتح بلع من الروعة والاسدهواء

وبصدق هذه الملاحظة على لجمال هي معانيه الفنية كما تصدق على احمال
في صورته الجسدية فتمبير امرأه له محذور. ثم يطلع قط مربية الإبداع والخلق
والفن في غير فئة قليلة جداً من النساء وعلى طبقه ثم ترتفع قط إلى أرفع
الطبقات

فيبدو جداً في النساء من تدع احمال في من من الغنوي، سواء كان الشعر
أو التصوير أو الموسيقى أو التمثيل

وقد تبرع في التمثيل لأنه يوافق عدها سليقة الرباء والتظاهر والاصطدام،
ويكن التمثيل تمثيلاً متفوتاً في بفره الفنية وعمل لفريضة الإنسانية وهما

تمثيل لخلق والإشياء ويمثّل المحاكاة والتقليد ويمرّ حذاً في كبار الممثلات من
تصورات دور محاكاة والتقليد إلى دور الخلق والإشياء

ومن الجصاً أن يقال إن تخلف المرأة في القرون الجميلة قد نشأ من الحر
عليها في عصور الجهالة الأولى.

في عصور الجهالة الأولى كان الحر شاملاً للصعفاء من الرجال والنساء
على السوء، ومع هذا بيع لشعراء والفساد من طبقة العبيد والسوقة، ولم يكن
عدد الحاكمين المسيطرين الذين ينفوا في الشعر والعبور على اختلافها مرساً
على عدد التابعين من المحكومين المسحورين سواء منهم السفلة لأدلاء والأوساط
الذين لا يصيبهم الظلم كما يصيب من دورهم في طبقة اجتماعية.

وأيّاً كان القول في عموم الحر على انحناس أو على جنس واحد عدلدى لا ريب
فيه أن المرأة لم يححر عبيداً في السوء والعرف على الآلات كما لاحظ بعض
الباحثين. ومضى دهر طويل على الأمم الشرقية والعربية وهي بحسب الغناء
صدعة سائنة وبأخذ نغمين وإعازقين من الذكور أن يرسلوا السعور ويريو يرى
النساء ولم يحدو حظ المرأة من العناء طبقه الأداء الحسن إلى طبقة الخلق والإبداع
ويعمل في صناعة التطريز ما يقال في صناعة الغناء والموسيقى على
التعميم فقد شغل بها المرأة من عصور البداوة وثابت عبيداً في عصور
الحضارة، ولم تسد الرجال الممتارين ببداع الطرز والمصايد والأشكال

فشعور المرأة بالجمال محدود، وقد تكون تسعة فيه أو خاضعة للإيحاء
والشهرة سواء من الجماعات أو الأفراد، وعلى وسع فرد واحد أن يوحى إلى المرأة
شعورها بجمالها إذا تسلط عليها بإرادته فتؤمن من صديق الإيحاء أنه حبيب، ولا
يصنع أن يوحى إليها هذا الشعور إلا أن يكون شيع الدمامة لا تحوز المغالصة في
قبحة من النظرة الأولى ولا هو يلع من إقناعها ما يريد.

وميل المرأة إلى الرجل المشهور بجماله يخالف في طبيعته ميل الرجل إلى
المرأة المشهورة بجمالها.

فشهرة المرأة بالجمال تتحد في نفس الرجل طبيعة غير الطبيعة التي تشحها
في نفس المرأة شهرة الرجل بالجمال.

وهذا الفرق بين هاتين الطبيعتين هو الفرق بين الجنس في كل
ما يختلفان عنه.

إن المرأة التي تنصدي بحمالها لأعين الرجال تبعث في نفوسهم حب مصابفة
و لتدقس وتمسحهم بلدة الظفر و لغذية على الأقران وقد تكون متعتهم بالوصول
ليها وتحبه لأقران عنها أعظم وأروح من متعتهم بشمائلها ومحاسن جسدها
ومحبات

أما المرأة مشهورة الرحن بالحسان عندها توكد الإبحاء وانكزار وملكها من
ساحبة انتويم وشل الإردة و التمييز فهي تنقاد لها لأن الناس بقويون ولأن عا
يقولونه يحامر يعيدها كما يحامر الموم بالتوكيد والتكرار يقين اسمومين

والظفر بالجميلة المشهورة يرصى في الرحن طبيعة الزهو والثقة والظفر
بالحمين المشهور يرصى في المرأة طبيعة النسيم و لخصوع وهذا هو العارق بين
اجنسين في كل شيء

وصفة ما يقال في شعور امرأة بالجمال - أنه شعور يبقا للقة والإبحاء
ولا يرتقى إلى طبقة الخلق والإستاء

أما جمالها وانرحل هو الذي يميزه لأنه هو المقصود به نيلتعت إليه ويسعى
سعيه في الغلبة عليه

وهو غوايه امرأة التي تقبل بها إردة الرجل مند حيل بيدها وبين أن تريد وأن
تصرح بما تريد

وهو على سلطانه الذي يعذب الإردة ويعلبها في كثير من الأحيان إنما هو
أظهر غوايات المرأة وليس بكل ما عندها من أسباب الإغراء كما أسفنا في الكلام
على غوايتها وأسبابها

ولا تبعد بالمشبيه إذا قلب إنه كالصور الذي ترمعه لطبيعة على حابوتها لتعلو
عنه ويحذب الأنظار إليه، أو كالغلاف المخرق الذي تلف به طعمها لتفتح
اللهوات وتسعر أوار السيف في كل أوان

وقد سحت المرأة انجمال الذي يستهوى الرجل لأن الرجل يصب الحرية
ويخنا، والجمال هو الحرية التي يكلف بها من يكلف بالاختيار

وليس من المصادفة التي خلت من المعنى أن تستهوى المرأة بالخصوع لبقوة
وأن يستهوى الرجل بحب الحسان

فهما الحرية والسليم، يتقابلا كما يتقابل الحسان

تفاوت الجنسين

إلى هذا وصح الفارق الأصيل الذي شور حوله جميع الفوارق القطرية بين الجنسين ونعني به الفارق بين الإرادة والإعواء

وتتعلق بالإرادة جميع مفكات الابتداء والإشياء والابتداع في المسائل الحسية والمسائل الذهنية والعقسية على السواء

فإن المرأة لا تبتدئ ولا تبدع في صناعة من الصناعات وهي من الفنون وإن طال عملها فيه وتعطى له أحقاباً بعد أحقاب. فإذا شاركها الرجل في الصهي أو الخياطة أو المسج أو الترييز والتحميل وهي صناعاتها التي غيرت على مزاياها منات الأحقاب - كن له السبق بالتحويز والافتقار، واستطاع في هذه الصناعات نفسها أن يستأثر بإقبال المرأة وثقتها دون من يناهسه فيها من النساء

ومنذ القدم كان للمرأة تدوخ وتبكي وتطبخ الرثاء وانحداد على الأموات، ولكنها لم تنظم في الرثاء قصيده واحدة تصارع فصائد الفحول من لشعراء الذين لم ينقطعوا للرثاء ولم ينظموا فيه إلا عرضاً في الأونة بعد الأونة كلفهم العجز الحزن على فقيد عزيز

ولا ينكشف قصور المرأة عن الابتداء والابتداع في فن من الفنون كما ينكشف في فن الغناء والموسيقى على الإجمال.

فقد ظن خطأ أن الغناء صناعة سائفة ينبغي أن تحذفها المرأة كما يحذفها الرجل أو تربى عليه وقد سبحت لها فرص الحذف والإتقان في هذا الفن بين لفصوص وفي الأكواخ والأسواق فلم يؤثر لها السكر في التلحين ولا اختراع في الآلات ولا فتن في معاني التعبير بالألحان والأصوات

والخطأ هنا من سهو الفكر كالخطأ في تمجيد الجمال وذوق الحسن والاسمحاح إذا الواقع أن الابتداء بالغناء أيضاً خاصه من خواص الرجل الحسية لا معنى لتفوق النساء فيها، ولهذا يسومى صرب الرجل بماء بعد البلوغ ويعظم تحويف صدره وتكمل أوتار حسرته وتتم له عدة المضرج الصوينة حينما تتم له مقومات الرجولة وملكاتها ويعكس الأمر إذا سلب هذه المقومات والملكات فتضعف حججته وتصيق كفه ويشقبه صوته بأصوات النساء

والأطفال وقلما يلحظ استيعاب عسى مخارج المرأة الصوتية بعد اسراقة أو بلوعها
مبلغ النساء

وعلة ذلك ضهره وهي العلة التي عرستها في هذا الفصل وفي الفصول
السابقة، ويعنى بها أن الرجل هو الذي يريد وهو الذي يطلب المرأة ويسمعها بداء
الرحولة دعاءً وغناءً فيعترى تمام الصوت فيه بتنام صفات الرجال.

والفرق في تركيب كاف وحده لإدراك انفارق بين لحسين في السمكات
والقرائع وقبور الابتداء والابتكار

ولكن أوقع الشهود من قديم الزمن يغنى في بيان هذا انفارق ما ليس نفسه
اختلاف التركيب.

لأن لوقع فعلاً أن المرأة لم تبتكر في صناعة من الصناعات، غير مستثنى
منها تلك الصناعات التي انفصت لها، وثومت عليها أحقاباً طوالاً قبل أن يتوفر
عليها الرجل.

ومن السخف أن يقال إنها قد تخلفت في هذا المجال لأن الرجل قد ححر عليها
وقبدها بما يرضى هوام دون ما يرضى ملكاتها وأذواقها فمن الرجل من يحجر
عليها في الطهي ولا في الخياطة ولا في العناء ولا في الرثاء وإن ححره عليها
هو نفسه دليل على نقصها في القدرة البدنية والقدرة الذهنية وأنها بالقياس
إليه في المرقية التالية على كل حال.

وقد عاش بعض الراهبات كمعيشة الرجال الرهبان في القرون الوسطى بين
الأسيرة والمعاهد الديسية والعلمية وانقطع هؤلاء انقطاع هؤلاء للعبادة والتلاوة
ونسخ الكتب وترجمتها وتفكير فيها، ولم يعرف لامرأة رهبية فاض في القراءة
أو النسخ أو الترجمة كالفصل الذي عرف بمئات من الرهبان وعزى إليه إحياء
نهضة العلوم بعد القرون الوسطى.

فهذه القاروق بين الجنسين من العوارق التي يشهد بها التركيب كما يشهد بها
الواقع المقوثر في جميع الأمم القديمة والحديثة

ومده واسع جداً لا ينحصر في مزايا القريحة، ولكنه يتخصصها كثيراً إلى مزايا
أرواح والأخلاق.

وليصرب لذلك مثلاً نصيب لرحى ونصيب المرأة من الزواجر الأدبية والروادع
النفسية

فهذه «زواجر» أو هذه الروائع ترجع إلى مصادر ثلاثة يحيل إلى السبعحل أنها واحدة ولكنها متفرقة المعادن والأصول.

زاجر الدين، وزاجر العرف، وزاجر الأخلاق.

وليس معنى التفرق هي معدن هذه المصادر وأصولها أنها تتناقض ولا تتفق على نهج واحد بل معناه أن الإنسان قد يتمتع عن المحرم يوازع من الأخلاق ووازع من الدين ووازع من العرف في وقت معاً، وقد يتمتع عنه يوازع منها دون الموازين الآخرين.

فالمرأة نصيبها الذي يبرر فيها من هذه الروائع هو نصيب العرف والدين، ولا سيما الدين الذي يرجع إلى اخوف ويتسلم وكثير من دين الجهلاء لا يرتفع إلى الحب والفهم كدين الخاصة ودوى الرأي والدريّة

أما الرجل فتصيبه الذي يبرر فيه من هذه الروائع هو نصيب الأخلاق، لأن الأخلاق هي الروائع التي يعرضها المرء على نفسه ولا يعرضها عليه العرف الشائع أو العقيدة المصنقة، أو سلطان القادة والرؤساء

والأخلاق من ثم صفة من يريد

والعرف وال خوف للدين صفة من يراد وينقاد

فالرجل كائن أخلاقى، والمرأة كائن طبيعى يحرى على حكم الهيئة الطبيعية، وليس لها أخلاق بل عادات وشعائر وأحكام.

على أنها هي العادات والشعائر والأحكام التي تسائر العريضة الحسنية أو الطبيعة الأولى - حيث تشير

فمنذ القدم أمر الدين المرأة بالصيام عن الطعام في موسم من مواسم المراجعة، فلم تصبر على الصيام كما صبر عليه الرجل، ولم تنزل تراوغ حكم الدين وهي في سن الشباب إلى أن يتحاشاها الحمال ويعرض عنها الرجال

ولكن المرأة الحديثة تتحشم من الصوم ما لم يتحشمه كثير من الرجال الإعجاب الأعين واحتداد الأهواء، وتحبب الطعام اللذيذ والشراب المشهى لتجنب العملة التي يعامها الرجل في هذا الزمان، وليس اجتماع الصوام والمشارب بالأمر الهين عندها وهي حسية جسمية في ميولها وبذاتها . ولكن الطفر بالاستحسان عنده فردوس بهو في طيابه كل هذا الصيام الثقيل

والصلوات، التي تدهست منها ما استطاعت، هي شيء عيين بالقياس إلى

حركات ارياضة واشدليك ومتاعب الكساء بصديق والخلون والرويق، ولكنها لا تقف عليها كما تثقل الصلاة إذا كان وراء هذه المتاعب جراؤها اسريع من بطرة إعجاب أو كلمة بطرء

• • •

ولا يسيطر تركيب امرأة على إرادتها من هذه اساحنة دون غيرها.

بل هو مسيطر عيسها من موح شى غير هذه الناحية، ومنها - على لتخصيص - لت التناقض القوى بين الحرم ومنبعة الاوثة فى صميمها، وهى الطبيعة التى تفرص عيسها الحرم والرضع والحصانة والا تبالى بعواقبها وإبها لمرهفة معسنة شاقة على النفس والجسد وقد كات فى الآراء العابرة خطرة قتلة تنهك من لا تميت

فالحرم هو أن ينسى المرأة العاص فى سبيل الاجس، وإن يبعد انتظار إلى العد ولا يقصره على احاصر السئ هو فيه

وبو رعت المرأة هذا الحرم لما استجاب مرة من عشر مرات لصريبة السسل لمفروصه عليها فادى ررقته إلى هو نقيص الحرم وهو نسيان الاجل فى سبيل العاحل وإيثار السرور الغريب على العنم البعيد، أو هو استحابة الأثر الحسى والإعراص عن بدير الحكمة والروية وهدايه التأمل والتفكير

وإذا بدا منها الحرم فى موقف من المواقف فاصبحت عن لده تغريها فتفسير ذلك لده أخرى مركزه لديها عالية على تلك اللده التى اصبعت عيسا

فترفض مثلا الطعام لأنها معرمة بالكساء وترفض الما لأنها مشغولة بشعور الأمومة أو ترفض الرسامة لأنها متفاده بقوه، أو ترفض كن هذه القويات لأنها لا تحس بغيراتها إلا عند مسس احاجة إبيها، ولا تحفل بحاجه الغربا دامت غيبه عنها فى يومها

فحزمها هو مقومة إعرء بإعرء، أو تسويف وإرجاء إلى ساعة اشعور بالإعرء

ورب كات رحمه المرأة فى لبابها وهى أشهر أخلاقها مريخا من نقص الشعور بالألم ومن التذاد اشعوريه كما ربح بعض الباحثين فى مسائل النساء والرجان

عالمرة تطبيق التمرىض على رى هولاء باحثين لأنها بليدة احس، كليله

الحياة، لا تثير فيها رؤية الألم تلك الصور استلاحقة التي تخلفها مخيلات الرجال. ولو كانت تفرع للعذاب وتشقق منه على امتعذب لما استراحت إلى ملازمته والنظر إليه واستماع أبيته وشكواه

ولا يحفى وحاجة هذا التعليل الذي ذهب إليه أولئك الفلاسفة ولكنه على غير ذلك قاطع في تأويله لأن صير امرأة على رؤية العذب قد يفسر بالاستعراق في عاطفه الرحمة، وأن هذا الاستعراق يعين على الاحتمال ويملى للمرأة في مجازاة الآلام، ولا سيف المرأة التي تبعد فيها عاطفه الأمومة وبحيش في قلبها حاجة من مواجهه.

ومع هذا لا يسعى استعراق المرء في عاطفه لرحمة أنها تلتد الألم وتجتره وتربضه، وأنها كليله الخيال قلما سولى الألم بالصوير والتكبير كما قتولاه مخيلات الرجال.

ولا ينتهى أقوال الكتاب وأصحاب المذاهب الفلسفية والعلمية في تأويل أسباب التفاوت بين الجنسين لأن تعدد التأويلات هذا مسألة مزاج كما هو مسألة فكر ودراسة، وليس أكثر من تعدد أبناء آدم في المزاج والدرس والتفكير

لكن التفاوت قائم وإن اختلف الأقول في تأويله وقيامه حقيقة عبادية وحقيقة علمية وحقيقة صطقية في وقت واحد إذ كل قول بالتشابه بين الرجل والمرأة أو بالساوى بينهما هو في مؤداه هو برحمان المرأة على الرجل وتفوقه عليه لجمعها بين وظائفها ووظائفه في سنة واحدة وذلك هو الرحمان الذي لا يسفه مطلق سليم

ومما من أحده مصلحة في إنكار التفاوت بقية بين الحسنيين كمصلحة الماركسيين أو الشيوعيين في إنكاره وزيادات المساواة والمماثلة التامة بين الذكور والإناث لأنهم ينظرون إلى المرأة كأنها وحدة اقتصادية يمكن استغلالها إذا بطل استغلال الرجال مما يريدون أن يثبتوا بينها وبين الرجل فرقا يسمح بهذا الاستغلال في دولة رأس المال.

ولكنهم على هذه الرعية الملحة عندهم في تقرير المساواة بين الحسنيين والإعصاء عن الحقائق التي تنفيها لم يقدروا على المصاراة طويلا في هذه المعالطة العوائمة لمدعهم، وأعلوا في بشرة الأخبار الحكومية التي أديحت في أوانس أسنة الماوية أن تحاربهم الطويلة في تعليم الصبيان والبنات قد دلت

على فارق واضح بينهم يلاحظ عليهم في الثانية عشرة أو الثالثة عشرة وما حولها فكانت النتائج تختلف اختلافاً يابسا مع وحدة السن والمجهول، ويظهر هذا الاختلاف في طاقة العمل عند الصبي والفتاة مع تعدد المحارب والبنات.

ولا يخفى أن عدد انصبين والبنات الذي يقع تحت الملاحظة الحكومية بمدارس المشيوعيين هو أكبر عدد ينسب لأصحاب مذاهب التربية في قطر من لأقصر، ففي بلادهم مائة وخمسون منبواً يذهب أبوتهم وبناتهم جميعاً إلى المدارس من سنواتهم المبكرة، ويبدأ هؤلاء الأبناء والبنات في بنات الشمال والجنوب وهي مدن الصناعة وقرى الزراعة، وبين الشعوب الأوربية والآسيوية، من عناصر شتى.

وقد كان أناس من أساطين علم النفس بين علماء العصر الحديث يفكرون هذه المسألة الجلى - مسألة تعليم الجنسين - بعناية دور العناية التي ينبغي لأمثالها وتبني لهم وهم يطرقون الدباحث التي تنص بتهديت النفوس ومصير الأحيال، منهم من في طبقة «الفرد أدلر» الذي خطر له أن يعاظر «فرويد» في دراساته النفسية المشهورة، وهي فتح عظيم في تاريخ معرفة الإنسانية فأدبر يقول في موضوع تعليم الجنسين من كتابه عن فهم الطبيعة الإنسانية «إن أهم المنشآت التي أقممت لتحسين العلاقات بين الجنسين هي التي أنشئت للتعليم المشترك بينهما» ثم يقول «إن هذه المنشآت لا تقبل باتفاق الآراء، لأن لها حصوماً كب لها أصدقاء».

ولكنه هو يقطع بالرأى في ثواب عرصه لأفوا الأصدقاء والخصوم حيث يقول: «إن أصدقاءها يحطون أقوى برهان لهم على صلاحها أن الجنسين - خلال التعليم المشترك بينهما - تنفع لهما الفرص ليفهم كل منهما صاحبه في السن المبكرة فيقضى هذا التعاضد على الموروثات الوهمية ويضع عواقبها الضارة عند المستطاع أما خصومها فيجيبون عادة بأن الصبيان والبنات يكونون في سن المدرسة قد بلغوا من الاختلاف حداً يريد لشعور به والانتباه إليه عند الاختلاط في معهد واحد. لأن الصبيان يحسون أنهم مرهقون ويدخلهم هذا الإحساس مما يشاهد على البنات من أنهن أسرع في النمو الذهني خلال هذه السن المبكرة فإذا اضطرو هؤلاء الصبيان إلى المحافظة على مزيته وإقامة البرهان على تفوقهم بها لهم فجأة لا محالة أن مزيته في الحقيقة إن هي إلا فقاعة صابون ما أسهل ما تنفجر وتزول.

ويقول بعض الباحثين غير هؤلاء «إن الصبيان في المذهب المشتركة يقلقون أصنام البيت ويفقدون كرامتهم في نظر أنفسهم ولا محس للثب في استئمان هذه الأقوال على نصيب من اصدق والرحمة، ولكنها لن تصمد للاختبار إلا إذا طرب إلى تعليم الحسب معاً كأنه ميدان لنمافس بينهم على قصص السبق في المكة والكفاءة وهي نظره وبيلة إن كان قد هو عرض التعليم عند الأساتذة والتلاميذ وما لم يوفق إلى أساتذة يرون في التعليم امشترك رأياً أفض من اعتقادهم أنه سبيل إلى التدريب على التدريس أو التنازع المقبول بين الحسبين في المجتمع - فكل محاولة للتعليم امشترك فاشلة إن لا محالة ولن يرى خصومه من النتائج المحقومة إلا رسلاً على صوابهم بما أصابه من إخفاق».

ثم يستطرد أدلر فيقول «وما أوجبنا إلى خيار شاعر لتصوير لحالة كلها في صورتها الصحيحة منتقع من ثم بالإشارة إلى امواضع البارزة منها ومنها أن الفتاة الناشئة تتصرف فعلاً تصرف من يشعر بالصعلة، ويصدق عليها تماماً ما قلبه أنها عن الرعية في التعويض عند ابتلاء الإنسان بذلك للشعور، وإنما انفارق هنا أن شعور الصعلة مقروص على الفتاة بحكم بينتها وأنها تساق إلى هذا الاتجاه سوف حثيثاً يدعو الباحثين ذوي النظر اثاقب أحياناً إلى تصديق هذه الضعة فيها وليس لهذا الوهم من نبجة إلا النتيجة العامة التي يدفع إليها الحسبان حين يتعجلان خطط التراحم والتنافس التي تشغل كلا منهما بغير ما يعنيه وما يصلح له».

وقرار المشرفين على تعليم الحسبين بالمدراس الروسية مفيد في استدراك هذه المحريجات والتعليقات التي ذهب إليها أدلر عند أن توع في طريقها إلى تلك النتائج المزعومة.

إن لا يمكن أن يقارن فصل الحسبين بالمدراس الروسية بشئ من شعور الصعلة المعروض على الفتاة أو البيت الصغيرة لأن النساء الروسيات من سن الأربعين فمازلاً قد شأ على عقيدة التساوي بين الحسبين ولم تعرض عليهن البينة عقيدة غيرها منذ فتحن أعينهن إلى الآن. ولو غلا الدعاة الروسيون إلى أحد الطرفين لمار أن يكون غلوهم في تقرير هذه العقيدة وبوكيدها لا في إحاصها وإصعافها فليست هناك صعة مقروصه على الفتاة بحكم بينتها ولا يوجد هناك من يسوقها إلى هذا الاتجاه سوفاً حثيثاً يوهم الباحثين ذلك الوهم الذي توهمه أدلر من بعيد مع هذا سجل الباحثون الروسيون أن الفرق حاصل بين الحسبين في أدوار

الطبيب، وتبين لهم أن الصبي من سن العاشرة إلى الرابعة عشره يعاني من جميع القوى في بيته عواء بثقل عليه فيبطئ نموه بعض الإبطاء، وعلى خلاف هذا يطرود النمو في البنات بين العاشرة والرابعة عشرة فيررس في الوزن والطول فضلاً عن استعداد الفهم والمعرفة

ثم يأتي دور الصبيان بين الرابعة عشرة والسابعة عشرة وإذا هم الذين يسبقون البنات في الوزن والطول والاستعداد للفهم والمعرفة فلا يتأخر - وهذه هي الفوارق بين الجنسين من العاشرة إلى السابعة عشرة - أن يتلقوا معاً دروساً واحدة ويحارب بعضهم بعضاً في مضمار واحد

ثم يأتي دور آخر وهو دور التفكير في الفوارق بين عمل ابرحل وعمل امرأة في الحياة إذ ليس من المستطاع أن يتباطأ بهما عمل واحد يؤديه على نحو واحد من الغالبية والكفاءة.

فالرجال يعدون لجدية ودرسون على فنون من الدربة الرياضية العسكرية وهم فتدان صغار، ولا يقال إن النساء أيضاً يعملن للدفاع عن أرضائهن في اجيوش فإن الواقع أن الوظائف مورغة بين الرجال والنساء حتى في ميادين اقتناص فلا تتباطأ بالنساء إلا الأعمال التي نواصهن كأعمال التمويه والمواصلات والمريض وما يشاكلها مما يباشره وراء خطوط النار

وكذلك لا تتباطأ بهن في تحضير الذخيرة والأسلحة إلا الأعمال التي يصفونها دور الأعمال الكبرى التي لا يصلح لها ولا تتباطأ بغير الرجال

وكما ينبغي أن يعد ابرحان للجدية ينبغي أن يعد النساء للأمومة وما يتصل بها من التربية والتنمئة والعناية بالصحة والغذاء ومهما يكن من النسوة بين الآباء والأمهات هي تبعة لأبوة والأمومة فلا تلحق هذه النسوة كل عار في بين الآباء والأمهات في المشاء والاستعداد

ولقد حارب فحلل الجنسين بضعة أشهر فظهر أثر هذه التحريه في ربيته المتحاذين والتوازن بين صفوف المتعلمين والمتعلمات، وامكن أن يستفاد الصبيان من خير فائدة من كل فترة يتعشابهون فيها ولا يتفاوتون

ولم يرر أساتذة التربية هناك حريصين على مذهبهم المعهود من التسوية بين الجنسين وهما محذرهان فقال «سولوخير» مدير إحدى المدارس بموسكو أن هذه التفرقة لا تعيد التفصيل ولتمييز «لأن البنات والصبيان في مدارسنا يتلقون

وسيلقون طبقة واحدة من التدريب والتعليم ويوهبون أهبة متساوية لتصنيفها من عمر الحباة، وينشأون على عقيدة التكافؤ بين الجنسين»

وتقول نحن إن عقيدته انتكافؤ لا تهم في هذا الموضوع ما بقي الفارق بين الرجل والمرأة في البنية والوظيفة محسوب له حساب الصميم في مراحل التعليم من الطفولة إلى الشباب.

فليست المسألة التي نحن بصدد حلها مسألة تقدير الممارس والمراتب هي ديوان من دواوين المشربفات، ولكنها هي مسألة القيام بأعمال الرجال وأعمال النساء على الوجه الصحيح لكل من الجنسين.

وقد يفرط انقباضون بالتساوي كما يفرط القائلون بالتفاوت ذلك الإفراط الذي يلامس الفكاهة والمزح وإن لم يقصد به قائلوه شيئاً من محاكاة أو مزاح

فهذا الإلحاح على مسألة التساوي لا يفر في سحفه وهزله عن ذلك الرأى الذي ذهب إليه عالم من علماء الطبيعة وهو لا يمزح ولا بهز ولا يفر ولكنه يقول حاداً: إن اتساع الفهم بين إدراك الرجل والمرأة يرجح لديه أنها أنثى حيوان آخر لحناً الإنسان إلى اعتصابها في غابر العصور على ثروة حديثة ألقت بالإنسان الإنسانية فافترضت وهي في بقعة محدودة من الأرض قبل انتشار آدميين على وجه العالم المعمور فذلك قرب المعطيات عنده لهذا التفاوت البعيد بين أسلوب الرجل وأسلوب النساء في الفهم والتصور فضلاً عن بقوة العقيدة والبدهة لذهبية»

وفي تخيل هذا العالم غلو يلامس الفكاهة كما أسلفنا إلا أنها لا تعدو حدود المعروف الفكرية ولا يلامس الفكاهة حين تقول إن الأنثى الانسانية ليست هي المقصودة باستقلال الحلة والتكوين وإن العوازم انحصبة تلعى في روعنا أن الرجل هو المقصود باستقلال الخلقة من طريق هذه العرائز كما استدلت على ذلك في بعض قصص كتابنا «المطالعات» فقلنا: «إن المرأة تعشق الرجل لنأني برجل على مثاله أي لتكرره وتعيد خلقه، ولكن الرجل لا يعشق المرأة ليأتي بامرأه على مثالها ويكررها وإنما يعشقه لتكرره نفسه ويأبى بولده على مثاله هو من طريق المرأة التي يصلح لذلك في نظره وهواه والمرأة تعشق لتسلم نفسها في مهية الأمر فدورها في العشق هو دور التلسيم دائماً أما الرجل فيعشق ليظهر بالمرأة فدوره في العشق هو دور الطائر دائماً وليس في مصاصين الخوازم لجسدية وهي أصدق مقياس لما يبدأ به الاختلاف من وظائف الجنسين - ما يؤخذ منه أن المرأة أعظم من الرجل شأناً أو أنها معدومة عليه في مقصد من مقاصد الطبيعة»

تناقض المرأة

كتب تولستوى الأديب الروسى الكبير فى يومياته بتاريخ الثالث من شهر أغسطس سنة ١٨٩٨ «إن المرأة لأداة الشيطان إنها عبيه فى حملة حالاتها. ولكن الشيطان يعيرها دماغه حين يعمل فى طاعنه انطرايبها وهى تسي بالمحسوب من التدبير والعظر البعيد والمثارة لتفصى من ثم إلى عمل خبيث ولكنك تنظر إليها حين يُطلب منها عمل غير خبيث فهذا هى عاذرة عن فهم أصغر الأمور لا تنظر إلى ما وراء سطنتها الماصرة ولا ترى لها من عريمة ولا حلد»

* * *

والذى قابه تولستوى عن تناقض المرأة فى التدبير يقال كثيراً عن ساقضها فى العهم والشعور تخصص ثم تخون، وتشتد فى الحب ثم تشتد فى الكراهية. وتقرر لا وهى تعنى معم وهى لا تعنى ما تقوى وتصبر على التضحية بالراحة والعبادة ولا نصبر على خسارة دريهمات ولا ترال نمتظر منها شيئاً ونفحوك بغير ما ننتظر وتحسب عندها حساباً وتلقاك بها لم يكن لك فى حساب

ومعنى هذا التناقض فى طبيعة الناس من الابات كسوا أم من الذكور وهى الشئون الجنسية يعرض لنا أم فى غير هذه الشئون

لكن التناقض بعد هذا حلة لا مداح منها فى تكوين المرأة خاصة لأنها حلة ملارمة للأنوثة فى ألزم لوارمها وهما الأمومة والحب بشئى معانيه

بالدة والألم بفيضان فى اكانس الحى على الإجمال ولكنهما يمشيان معاً فى إحساس المرأة فتجمع بينهما اضطرراً من حيث تريد ومن حيث لا تريد

أسعد ساعات امرأة هى الساعة التى تتحقق فيها أموتها الخالدة وأمومتها المعقتهات وتلك ساعة الولاية

فى تلك الساعة يغمرها فرح لا يوصف إذ هى تسحب ذلك المخلوق الحى اسى صبرت على حملته حتى أسمته إلى الدنيا راضية مرضية ولكنها مع هذا هى أشد ساعات الآلام والأوجاع فى جسد الأم الطريح بين الموت والحياة

بالنقصان فى إحساسها بتلاقيار ويتجاوران ويمترحان أحياناً فلا يفصلان ومن هنا تراها فى عبطة وهى تعانى الألم وتراها فى ألم وهى تختلج بالسرور

وأبعد ساعات المرأة كرة أخرى هي ساعة التسميم والخصوع بالرحس الذي يستحق عندها مذلة التسميم والخصوع

لا مصاص عندها من السعادة في تلك الساعة وهي رغبة لا أن أمثليتها القصوى هي أن تظهر بانقرين الذي تستكين إلى بأسه وتشعر بعلمه ولا سعادة لها مع الرحس الضعيف لأنه أب غير صانع وزوج غير بافع ورحد غير موفور ابرحوله فإذ شعرت بقصرى رحوبه شعرت بقصرى علمته في وقت واحد

والشعور بالخصوع مؤلم مثل للكانن الحى على الإحمال، وكنها هي الكائن الحى الذي يحقق بها الخصوع عرض الأبوثة لأقوى ولا غرض للأبوثة أقوى من الطفر بالغلابين من الرجال.

بهي في ألمها راصيه وفي خصوعها طافره وهي على الرعم منها تجمع بين البقيضين. الطفر والهزيمة. والمجدح والتسليم

هي أدا بين بقيصين في أمومتها وفي حبها وركت هو استياقص الذي لا حية لها فيه ولا يفحاً الرجال منها لا كما يفجوف هي على غير ما يحتظر وعلى غير ما يقع لها في تدبير

فمن انحصاً أن يرد على لخطر أن الساقض من دهاء المرأة وتديبرها أو من ختلها وحدها فهي مخدوعه به فب أن تطع سواف وهي في قبضته فريسة لا تملك ما تريد

ولا بد من التناقض في صنع لأنثى لأنها شخصية حية خاضعة للمؤثرات التي يتدوبها من عدة جهات، وهي كما أسفها في الفص اسابق مستجبه للأثر انحصار وقد تيدها الآثار انحصار من كل صوب لا من صوب واحد

فالمرأة من جهة قدسة عصو في بيئته اجتماعيه هي الأمه أو المديبه أو القبيله، فهي هنا زوجة أو بنت أو أخت أو صاحبة عمل بجمعها بتلك اسبلة الاجتماعيه صلة العرف أو الشريعة

والمرأة من جهة غير هذه وتلك انثى لها تركيب حموى يربطها بمخلوق آخر لا يتم وجودها بغيره.

والمرأة من جهة أخرى ام نحب ابءها بالغبيرة والألمة وتصبير في سبيلهم عسى مشقات وآلام ينودها الصبر عيها في غير هذه لسبيل، وهي بعد هذا كله كائن حى من حيث هي رليدة الحياة في حملتها أيًا كن النوع الذي يسعى

إليه والأمة التي تعيش بيده ولعلاقة بتى تجمعها بالروح أو العاشق أو الأهل أو البنين

ومد نخسف عليها هذه ابوجهات جميعاً فلا مفر لها من التناقض معها لأن مقاصد الفرد المستقل والأنثى المغتوبة والأم التي تنسى نفسها فى حسابها، والكاس الاجتماعى الذى يردى مطالب العرف والشرعية، أو الكاس الحى الذى تهره الحياة بهذه المورخ كما نهزه بما عداها - كل أولئك يختلف ويتناقض لا محالة ولا يتأتى التوفيق بينه إلا فى البدره بعارضة.

فها هنا مثلاً فرد يريد بعصرته الفردية أن يستقل عن جميع الأفراد الآخرين سواء كانوا من الآباء أو الأمهات أو الأزواج، فلا يلبث أن يستعر فيه هذا الشعور الطبيعى حتى ينارعه منه شعور، لأنثى التي تريد أن تنصوى إلى رجل بهواه وقد يدارعها شعوران بل أكثر من شعورين إذا تعددت الصفات التي يسهويها من الرجال ويعرفت بينهم على نحو يضل الإرادة ويستت الاهواء

ولا تلبث أن تنسى استقلالها الفردى وتطوع برعتها الأنثوية حتى يبرز لها المحسوس يحكم بحالف حكمها فى الاختيار والترجيح، فيقودف إلى الجاه والمان وهى تنقاد إلى الفتوة والحصان، أو يرمها الوقاء للروح وهى تنظر إلى رجل آخر نظرة الأنثى التي سبقت بعطرتها قو بين الأمم وهواعد الآداب

ولا تلبث أن تحال على هذه ابواعث أو هذه ابوساوس حتى يغلبها حيو الامومه ليربطها بمكان لا تود انباء فيه، أو يسهى الكاس الحى فى نفسها نهضة لا تطيع بطعناً غير بواعث احياة يصغر عن بروة الأنثى وقاسور المجتمع وغرائر الأمهات فلا عجب فى هذا التناقض ولا مباينة فيه للمعقول، ثم يضاف إليه تناقض آخر يرجع إلى تعدد الدواعى فى كل صفة من الصفات التى أشربا إبيها

ويكتفى بصفة واحدة على سبيل انتمثيل، لأن شرح الصفات جميعها فى تعددها وتباينها من وراء الحصر والإحصاء

فاسراه فى صفة الانوثة وهى تنصوى إلى الذكورة - تحب الرجل الكريم لأنه يعمرها بالعلمه ويريحها من شائد العيش ويخصها بالزينة التى ترهبها وترصى كبرياءها بين بطيراتها فضلاً عما فى الكرم من معنى العظمة والاقدار ولكنك قد ترى هذه المرأة بعينها تتعلق ببخيل لا يدفع ماله على ربه أو متاع فهل هى مناقضه لطبيعتها فى هذا الانحراف العجيب؟

كلا ، بل هي لا تنافس طبيعة الكبرياء نفسها التي ترصدها عن كرم بكرم
لان المرأة بحرج كبرياءها أن ترى رجلا يستكثر المال في سبيل مرصدها ،
ومتى حرج المرأة في كبريائها أقبلت باهتمامها وحيلتها وعوايقها من حيث
أصابتها ذلك الحرج المثير وليس أقرب من تحول الاهتمام إلى التعلق في طبع
النساء

فبالزعة الواحدة قد تكون سبيلا إلى النقيض في ظاهري الأعمال ولكنهما
مقيمان لا يلتصقان بنفق ويتوحدا عند المتبع الأصيل متى عرفنا كيف تنتهي
الزعة إليه

وكلم ذكرنا نقانص امرأة وحب ألا ندسى مصدر آخر للتناقض في اخلاق
النساء يفسر لما كثيرا من نقائصهن حيثما توقعنا شيئا من المرأه وأسفرت
التجربة عن سواه

ذلك المصدر هو درجات الأنوثة وأطوارها بين الطهور والصغير
فللأنوثة صفات كثيرة لا تحتص في كل امرأة ولا يجوز على نحو واحد في
جميع النساء

فليست كل امرأة أنثى من فرع رأسه إلى أخمص قدمها أو أنثى مائة في
المائة كما يقول الأوربيون بل ربما كانت فيها موارع لأنوثة ونوازع غيرها إلى
الذكورة ، وربما كانت أبوئتها رهق بقوة لوجس ندى بظهور فلا تتشابه مع
جميع الرجال وربما كانت في بعض عوارضها الشهوية وما شبهها من عوارض
الحمل والولادة أقرب إلى الأنوثة الغالبة أو أقرب إلى الذكورة العارضة وقد كانوا
فيما مضى يحسبون هذا التراوح بين الذكورة والأنوثة صريحا من كلام المحاضرين
فأصبح اليوم حقيقة علمية من حقائق الخلايا وفصلا مدروسا من فصول علم
الأجنة ووظائف الأعضاء

وليس التناقض لهذا السبب مقصورا على النساء دون الرجال
بل إن الرجل أيضا يصدق عليه ما يصدق على المرأة من تفاوت درجات
الرحولة إذ ليس كل رجل ذكرا من فرع رأسه إلى أخمص قدمه أو ذكرا مائة في
المائة كما يقال في اصطلاح الأوربيين ، ولكن التناقض لهذا السبب يدور في
امرأة أعرج وأكثر لامتراحه بأسباب التناقض الأخرى ومحاولة الرجل أن
يفهمها على سقمه المصنوع كدأبه في تفهم جميع الأمور

ولا ريب أن «شخصية الإنسانية» هي حالة الذكورة والأنوثة عرضة كغير من
الصفات المحيرة للعقول عقول الرجال وعقول النساء

وكم يقول النساء عن تماقص الرجال ولا يخطئ المقال 'كم يقين في الرجل
«كابحر المالح» لا يعرف له صفاء من هياج، وكم يقلن إن فلاب كشهر أمشير
لا تدرى متى تهب فيه الأعاصير' وكم يقول إحداهن للآخرى حبيبك في ذلك
عقرب في ذلك' وكم لهن من أمثال هذه الأمثال مما لا يحفل به الرجال

لهن لا يعنين بمعارنة الرجل من طريق لفهم كما يعنين بمعارنة من طريق
التأثير، ولو حاولن فهمه كم يحاولن التأثير به يخرجن به لغزاً من الألغاز
و«عجوبة من أعاصير البحار في قديم الأسفار.

«الشخصية» كلمة واحدة هي اللغة ولكنها تحطى أبعد الخطأ إذا تصورناها
شيئاً واحداً لأنها تنصوي تحت عنوان واحد إذ هي «شيء» لا تحصى من العرائر
والمدارك والأحاسيس وعلاقات المحاوية بينها وبين العالم لدى تعيش فيه، وهي
بهذا الخليط الواسع في حركه دائمة لا تستقر على وجهة واحدة برهة من الزمن
ولا يعهدا في الصحة ولا في لشبب كما يعهد في المرض أو في الهرم
ولا تصدر عنها نبرة الوحدة من مصدر واحد في جميع الأوقات والأحوال

فهي تختلف بين حالة وحالة، وتختلف بين سن وسن، وتختلف على حسب
العلاقة بينها وبين هذا الإنسان وذاك الإنسان وتختلف على حسب العن
والبواعث التي تحركها إلى الأعمال

والمرأة كالرجل «شخصية إنسانية» تتعرض للبقاوض من جراء هذا التعدد
وهذا الثقل هي عناصر كل «شخصية» تحم عنواناً واحداً وتشتمل على شتى
العناصر التي لا يقر لها قرار

ولكنها انفردت بأسبابها المقصورة عليها، وفردت بعراقبه الرجل إليها
ومحاولة التوفيق بين غرائبها وبدواتها

وعندها في صميم هذه الأسباب المقصورة عليها حالتان بصاعقان ظهور
الساقض فلا يخفى كما يخفى تماقص الرجل على «الطيرة الأولى.

يحدث ما بين الحائتين طبيعة المراوغة التي وضعن بها إحد «يتمعن وهر
الراعبات»

والأخرى طبيعة الاستغراق في «السعة التي هي فيها وسين ما قبلها وما

يعدّها، فيبلغ الحب أشده بعن يراقبها أن يراها تنتقل بين أدوارها كم منتقل
 الممثل بين أدواره ولا يخلط بينها أو لا يستبقى من سوابقها بقية في تواليها
 فمن المشاهد أن لرحل إذا قصى يوماً أو اسبوعاً في مسداة اسم من
 الأسماء - ولا سيما بداء المفاجأة - أخطأ فسبق به لسانه في جلسة أخرى لا يرد
 أن يذكره فيها، بل لعله يود أن يكتمه ولا يوصي إليه
 وقلما يشاهد هذا في محادثات المرأة ولو تلاحقت بين ساعة وساعة، لأن
 الساعة التي هي فيها نستولي عليها فلا يرب لسانها بالإشارة إلى غيرها، ولأنها
 تستعين بها بطيقتين أصيبتن فيها، وهما طبيعة العفاق، وطبيعة الاستحراق
 ولم يرب التماقص باب من أبواب الحيرة واختلال الحساب، ولكن التماقص
 الذي يعهم سببه يريح من الحيرة على الأقل عند البحث عنه والتفكير فيه، وإن لم
 تكن به راحة من معاناة العنائص وابتلاء متاعبها، ولا عتب في معطما على
 المرأة لأنها لا تقصدها كلما لحت إليها، وقد تكون هي صحيه من صحابها

حب المرأة

يحتج من حب المرأة كلُّ ما تعرق من بوائبها وأسرار خلقها لأن الحب هو محور الوظائف الحسية التي خلقت فيها بوائبها وأسرارها فهي لا تنقص في خالجه من الخواص كما تنقص في هذه الحالة الكبرى، ولا يسوي أثقلها في برعة من البرعات كما تستوعبها وهي تستقبل بها رجوله الرجل الذي تهواه

ومما يصاعف بوائب الحب أن امرأة في الحب نماذج كثيرة على حسب الطبيعة الغالبة عليها من طبائع الأبوثة

فليس حب المرأة المشغولة بالأموه كحب المرأة المشغولة بالزوجية، وحب المرأة المشغولة بالعشوق وعلاقاته، أو المرأة المشغولة بالمتعة الحيوانية أو المشغولة باللعب والعبث والتصيد نكل من تلقاه من الرجال

ولا نهاية للشواغل التي تختلف بها أهواء النساء ولا أهواء المرأة الواحدة ولكنها تردنا إلى نماذجها العامة فتخلص لنا منها تلك النماذج الخمسة التي أحملنا الإشارة اليها، فمنها تقدم وهي نموذج المرأة الأم، ونموذج المرأة الروح ونموذج المرأة العاشقة، ونموذج امرأة الهوى، ونموذج المرأة المعزولة

وكل نموذج من هذه النماذج يخالف الآخر في حبه واختياره للرجل الذي يوائمه وفي علاقته بمن يختار

فالمرأة الأم تصدر في حبيها عن بوائب الحنان والتضحية، وقد تعطف على الرجل متدعية والامه فحبه وبهواه، إذ يهيئ لها مقعداً عاطفة الأمومة العالية عليها فترعاه في معيشتها معه رعاية الأم لوليدها، وتضيق معه على الصنك والحرمان، لأنها مطبوعة على التضحية وإنكار النفس في سبيل الدرية، ومنى طبعها المرأة على إنكار النفس في هذا السبيل فهي شكر نفسها كلما أحببت واستجاش الحب في طواياها بوائب الحصف والرعاية

والمرأة الزوج تستهويها الرجل من ناحية المعيشة المنزلية وأعضائه الاجتماعية وعلاقات الأهل والأسرة وألفة لمراجه التي تستعرق طبائع بعض الأميين كم مشاهدتها مستقرة في بعض الطيور أو بعض المقاريات التي تألف المزاجية مدى الحياة

والمرأة العاشقه تحب الرجل الذي يثير حسنها ويشعر كواحد بنفسها ويملك
 عجايبها، وتختلف النساء انباشت فيث يثير الحس ويشعر كواحد بنفسها ويملك
 الإعجاب، فممن من يستهويها الرجل بشبابه وجماله وسمته، وممن غير أولئك
 الوان واشكل يحتلن في عشقهن كاختلاف الرجال في المحاسن والمرايا أو الحصال
 والمرأة الهلوك تحب الرجل للشهوة الحيوانية ولا يعيها الرجال إلا من هذه
 الناحية دون غيرها، ويحلو هذا الحب من الوفاء والإخلاص والشفقة والمودة
 ومعاني الأدبية التي توجد بين المحبين لأنه يشبه لشغف بالطعام والشراب
 لا صده فيها بين الأكل والمأكول أو الشارب والمشروب غير صلة الشبع والجوع
 وصله الرى والظمأ ولا تحفل المرأة انى تحب هذا الحب بنحس الرجل ولا تقع
 بواحد إذا متصاعب أن تستكثر من العشرة ولكنها قد تشاهد على حاله من
 السلق برح واحد بسبب بحالة الوفاء والإخلاص وهي ليست من الوفاء
 والإخلاص في شيء، وإنما سببها لاختلاف بين الرجل والمرأة في طلب الحس
 الآخر واحتجازه.

فالرجل يرمى شهوته كل امرأة اتصلت بيده ويبيده صلة حسنة ولا يعيها
 أن يطلب المرأة ولا المرأة تعافه لأنه يطبها ويغدر من الرجال من يقبل علامة
 أن تحتجره امرأة لشهوانها وتتكل بالنفقة عليه

ولكن المرأة على بقيص ذلك لا يرمى شهوتها كل رجل تفصل بيدها ويبيده
 صلة حسنة، ويعيها حدًا أن يسعى كل حين في طلب رجل جديد ولا يعيها أن
 يحتجرها الرجل ويتفق عليها كما يعيها هو أن تحتجره وتتفق عليه

فإذا عثرت امرأة الهلوك بالرجل الذي يرمى شهوتها ويقبل إحمارها
 وتلبس هواها فهي تتفق به وتتقصر عليه لأنها طلبة لا تتكرر بمشيتها، ولو
 كسب تتكرر بمشيتها لما مرعت من بغير الرجال وتبدلهم كل يوم

ولهذا قد تكون المرأة الشهوانية أدرم الدساء على رجل واحد مع أنها لا يعرف
 الوفاء والمودة والحداد وذاك الذي يلوح بلصرة الأولى كأسه تماقص عجيب من
 خلق النساء، وإنما علتها ما قدمنا

أما المرأة تلعب وهي تحب الرجل الذي يرمى فيها طبيعة اللعب والدعابة
 والفزل الصاخب المتحد وقد تحب الدعابة بالدعابة لا لأنها طريق الشهوة
 أو الصلات الجنسية والعلاقات الزوجية

وأدعى ما يكون من دواعي الحيرة في تصافص النساء في حين أن عدة
مفردات من هذه المفردات على طبيعتهم لا يمحونها منها سماع الأخرى.

والمرأة العوب قد يراحمها عطف الأمومة في بعض أطوارها، والمرأة الأم قد
تطرب للدعابة والعيث وتؤخذ بهما، وامرأة الهلوك قد تصمر العشق حيناً من
أحبانها، وامرأة العاشقة قد تركز إلى الزواج الدائم، وامرأة الزوج قد تعشق
زوجها طويلاً كما يتعاشق المحبان المعرمان.

لأن عنة عنصر من عناصر الطباع لا يحتث العناصر الأخرى سواء في نفوس
النساء أو نفوس الرجال.

والحب كما لا يخفى علاقة بين شخصيتين لا بين جنسين
وتفسير ذلك أن العلاقة التي تكون بين كل ذكر وبين كل أنثى هي وظيفة
جسدية وليست علاقة نفسية أو روحية كالعلاقة التي تكون بين المحبين.

وإنما يسمى العلاقة بين الذكر والأنثى حباً إذا تعيرت فيها شخصية من جنس
الرجال وشخصية من جنس النساء، فلا يعنى عن كل منهما بديل من جنسه،
إلا إذا تمت العلاقة انثى بينهما.

والسنة العامة هي بعد هي التوحيد والاكتماء بمحبوب واحد في حينه، ولكنه
قد يحرق على غير هذه السنة في بعض أحواله لعربية فتحب المرأة غير رجل
وقد تحب عدة رجال، لأن «شخصية» الرجل الواحد لا تنحصر فيها جميع المزايا
التي تستهوى النساء من الرجال، وقد تبرز مزية واحدة كل البروز فلا يسمع المرأة
أن يفعل عيب، وتضمحل فيها المزايا الأخرى فلا يصبر المرأة عن شدائنها في
«شخصية» أخرى.

وقد تشعر المرأة بالحاجة إلى حب رجلين تبين متنافسين أحدهما تكبره
وتكبر نفسها إذ علمت أنها كبيرة في نظره، والآخر بصغره ولا تبالي أن تكشف
له صغائرهما وتطلعه على مآلاتها، وتسريع إلى محاسنته لأنه من الجنس الآخر
ولا تشعر بمثل هذه الراحة إلى محدثة صديقة من جنسها.

والمزايا التي تستهوى النساء من الرجال لا تخص في تعدد أنواعها
وبدرجاتها، فمنها القوة واحمال وشهوة والباقاة وانظرف وعو المكان وبسطة
الحاء، ومنها ما يرضى عروها وما يرضى جسدها وما يرضى ذوقها وما
يرضى فؤادها وكلها تتطلب الإرضاء ولا تتلاقى في «شخصية» واحدة، فلا يدر

من أجل هذا أن تتعلق المرأة بأكثر من رجل واحد تعلقاً صحيحاً لا رياء فيه،
وتعيبها على ذلك سلبية الاستعراق التي تهون عليها الانتقال من حال إلى حال
في حصرة كل محبوب فلا يكشف سره إلا بسببه شديد لأن المرأة قد تنكشف
حين بعض رتداهن من تبعه، ولكنها لا تنكشف حين تحب وتظهر المحبة وإن
أضمرت غيرها في اللحظة بعينها، وهذه هي العقدة التي يحسبها بعضهم لغرا
كالعمر الذي يصدره العلماء النفسانيون في أصحاب «الشخصية» المتعددة،
وبيست هي بالغر على هذا الاعتبار لأن الشخصية المتعددة غير اشخصيه
لعدة التي تمر بحالة بعد حالة وتستغرق في كل منها فترة تقصر أو تطول

وفي حب المرأة محار للسافس - غير ما تقدم - يرجع إلى تفاوت درجات
الأثوثة الذي سبق الإشارة إليه

ومن التعبير المحاريه التي تقرب الحفظة العلمية كل المقاربه أن المرأة
والرجل لا يكمل الواحد بينهما إلا إذا كان فيهما معاً ذكر كامل وأُنثى كاملة،
أو مائة في المائة من الذكورة ومائة في المائة من الأنوثة كما يقال في
الاصطلاح الأوربي الحديث

ولكن المرأة التي تكمل فيها مائة في المائة من الأنوثة غير موجودة، والرجل
الذي تكمل فيه مائة في المائة من الرجولة غير موجود

هاسرة التي تغلب عليها الأنوثة يصبح لها قريش تغلب عليه الرجولة فإذا
استحوذت المرأة نحو طباع الرجال فأصبح القرباء بها رجل منحرف نحو طباع
النساء

وقد تسيطر المرأة على رجل وتحصص لرجل غيره، تبعاً لاختلاف نصيبهم من
المحبة ومفعولية المراس

وهذا لتفاوت في درجات لأبوته هو سبب الانحراف في علاقات الجنس بين
بعض النساء المعروقات «بالساعات» نسبة إلى شاعرة الموماسة سافو، التي
تقرأت في بعض ألسنتها بالفتية

كأنما تفقد المرأة سرورها بمصاحبة الرجل فهي تلتصق هذا السرور
بمصحبه بدأت جنسها أنسى خرجت منه بالمزاج وإن بقيت فيه بتركيب
الأعضاء

ومن المقاربات التي تتكرر في كل حين تلك المقاربه الخائفة بين الرجل

والنساء في الحب أقوى منهما وأقوى فيه وأيهما أقوى وأيهما أقرب إلى الروحانية
والقداسة

بعض الأقدمين زعموا أن المرأة أقوى شهوة من الرجل. وزعموا أنهم قاسوا هذا
الفارق بمقياس الحساب فوجدوا أن نصيب النساء تسعة وتسعون والواحد الباقي
من نصيب الرجال.

وبعض المحدثين زعموا أن الحب أهم للمرأة من الرجل لأن شواغل الرجل قد
تلهيه عن الاستغراق فيه

ولا يد من فارق في الحب بين الجنسين على كل حال

لأن هدف المرأة من الحب هو الرجل وهدف الرجل من الحب هو المرأة وهم
مختلفان في الصفة والعاية والوسيلة.

لا بد من فارق بين الحب الصغير وأحب الكون. فالحب الصغير وهو حب
الرجل ينشأ من تعبيره أحياناً إلى خلق الحمار في القلوب كما يصنع المغرم
الذي يشد القصيد أو يبدع التماثيل أو يطلق بالعتاء

وأحب الكون - وهو حب المرأة - قد يتوارى عن الأنظار ويتغلغل في الأسرار
ويعتمد على الرقي والتعاويد وإلى السحر الأسود يستميل به من لا يصل ومن لا يرفع
المرأة في نظره أنه يستمال عبوة وجمرة كما يفعل الرجل حين يستميل من
يهوئها من النساء

والفن الحميل شفيح حب الرجل والسحر الأسود شفيح المرأة؛ لأن هذا محدود
إلى الخفاء وذاك مجتوب إلى الضياء وإن وحد كلاهما أصلاً بقرص غير هدين
الغرضين

وإن لفحة بعيدة بين لوجهين

وشتان بين الحب الناطق الذي يكرمه أن يطلب ويعبر وبين الحب الصامت
الذي يكرمه أن يصمت ويتطر. فهما ولا رب حتمس مقباين كما يتبين
الجسمان المحبان.

كذلك لا يتشابه الحمار؛ هذا خلق في طبيعته تنقاد للمؤثرات ولا تبالى ما
وراءه ولا تبال في حاجه إليها وهي معشوقة وروح وام ذات بدب. وهذا خلق في
طبيعته تملى تلك المؤثرات وتتسلط بها على طبيعته المقابلة لها، وهي مدعوة إلى
التسلط عليها

فأحد الحبيب يبيع من الإحساس، والآخر يبيع من العزيمة البائدة والعارضة
القوية، وإن حار أن يصطبغ كلاهما بغير صبغته كلما جاور المبيع وجرى مطردا
أو غير مطرد في محراء.

ولا يتشابه كذلك حب يقترن بحب المحد والكفاح وبتأج افكر والإيهام، وحب
مفرع له النفس أو تكاد، ولا تطلب المفادير معه إلا من صريقه أو من جوار ذلك
الطريق.

والحب يعد من جانب المرأة طلب حماية وبسليم، ومن جانب الرجل طلب
هجوم وظفر فتولا أنها يدوران على محور واحد لقييل إيهما متناقضان.
ولحب كما عين عند المرأة سعن شاعن وصناعة دائمة، وعند الرجل رياضة
فراع وسكن من جهاد.

فهو يستولى على المرأة كلها ولا يستوى من الرجل إلا على الجانب الذى يتوقى
إلى لرياضه وابتغاء الراحة ومن الرياضة رياضة القريحة ورياضة الروح
فأيهما إذن أخرى أن يدوم؟

ظاهر الأمر أن الحب الذى يستولى على النفس كلها هو أخرى بالدوام، وحقيقة
الأمر أن الحب الذى يبيع هذا المبلغ هو أقرب نحبين إلى الخطر وأدناه إلى التبدل،
لأن النفس الإنسانية لا تدوم طويلا على حالة الاستغراق أو اشبع والامتلاء، وقد
يضمض اسوام للحب الذى يستريح من جانب إلى جانب ولا يكلف الطبع جهدا
عطيف هي مولاته بالعدد والتحديد، ولكنه لا صمان لحب ائدى يحتاج أبدا الى
مدد يكفر به كل استغراق واملاء، ولا يصبر على فراغ بعصه إلا يرجع إلى حالة
أخرى من حالات الاستغراق والامتلاء

• • •

وتعريف الحب - ولوقيم نراه نحن - قد يعين على فصل هذين الحبين وليس
موانع الالتباس بينهما، إذا وقع هذا الالتباس

فالحب - ولوقيم نراه نحن - هو اتصال شخصيتين - لا مجرد ذكر وأنثى
- تتعبد فيه العادة على الإرادة، وقد يتفق لأكثر من شخصيتين اثنتين مع
اختلاف الباعث والغرض والقوة

وهنا تلعب العوارض النفسية لعبها الذى يخلط بين الشكول حتى ليوشك أن
يخلط بين الأصول

فالرجل أقوى إرادة من المرأة ولكنه لا يشعر بالعيب وهو يريد المرأة ويلاحظها، ويحرص على احتجابها واستبقائها، ما لم يكن في ذلك مساس بالحياة والعروة. فيريد أحياناً وهو يبدو للوهلة الأولى كأنه معسور

والمرأة أضعف يرده من الرجل، ولكنها تشعر بالعيب من ملاحظته وحبسته، فتصد عنه وتعتصم في صدها بحظ للمرأة من الإرادة، وهو العناد أو الإرادة السلبية لإرادة الامتناع.

وهذا لدى يبدو منه لأول وهلة أن المرأة في الحب أقوى إرادة من الرجل. وقد قالت إحدى ذكيات المعلمات في معرض أسواريه بين ذكاء الحسنيين أن النساء أدكى من الرجال، لأنهم يريدون معاً سروراً وحداً والرجل هو الذي يؤدي ثمنه ويسعى إليه

وذلك هو التباس الشكول الذي لا يسرى إلى الأصوب. وإن المسألة هنا ليست مسألة الإرادة وإنما هي مسألة الشعور بالعيب بين الحسنيين ولا يعيب المذكور ما يعيب الإناث

نعم ولا يعيب الكفيل أن يسعى في رعاية المكفول، بل يبلغ من ذلك أن الصغر الصغير يفسرنا على رشوته ومصانعته ليقبل على نحرع الدواء، وهو حوج إلى معيطانه وفي خطر من الإعراض عنه

* * *

وكل ما تقدم فهو حديث عن الرجل الذي أحب والمرأة التي أحب، وليس بحديث عن كل رجل وكل امرأة من الحسنيين

فليس لأحد أن ينظر إلى الرجال عامة والنساء عامة ثم يسأل أين هي نوازع الرجال الذين نعوهم؟ وأين هي نوازع النساء اللاتي نعوهم؟ فإن من سأل هذا السؤال كمن يلمس الماء في غير مورد، وأخلق بالباحث عن عوارض النفوس أن يبحث عنها في أصوار التعرض لها والإصابة بها كما يبحث عن عوارض الأبدان

فهى تعرف حيث توجد، ولا تعرف حيث تنعدم أو تكمن في الانتظار، وكم من الرجال والنساء يقصون العمر ولا يعيشون، ويلبسون الحياء في ديل ثوب الحياة

أخلاق المرأة

الأخلاق ضوابط حسدية ونفسية تعم الأحياء جميعا ولا تخص نوع الإنسان ومن العسير أن نفحص بين الأخلاق الإنسانية والأخلاق الحيوانية بحجار حاسم يقال عن هذا اشطر إنه إنساني لا حيوانية عنه، وعن ذلك الشطر إنه حيوانى لا إنسانية فيه

وبكر الفصل بينهما قد يتيسر على وجه التقريب بحقياس يصدق فى معظم الأحوال، إن لم يصدق فى جميع الأحوال.

فالخلق الإنسانى هو الخلق الذى يعتمد على المبدأ والصحير ويتفاضل الأفراد فيه على حسب التفاضل بينهم فى الحقير والنبيل واستشأة وعادة واستشأة والتعليم

والخلق بحيوانى هو الخلق الذى يعتمد على العريرة والوظائف الحيوية ويجرى على وتيرة الحركة الآلية التى لا تحتمل استفاضل البعيد بين مرد ومرد وبين فصيلة وفصيلة

ذاك مردى روحى

وهذا نوعى حسدى على وجه التقريب بذلك لقياس الذى قلنا إنه قد يصدق على معظم الأحوال وإن لم يصدق على جميع الأحوال.

وهذا المقياس يعينه هو المقياس الذى يرجع إليه فى التعرف بين أخلاق الرجال وأخلاق النساء. كل ما هو مردى روحى، أو اختياري ردى، فهو أقرب إلى خلق لرجل وكل ما هو نوعى حسدى، أو أبى إحصارى، فهو أقرب إلى خلق المرأة فمداره على وحى الغريزة أولا ثم على وحى الفهم والصمير

والأخلاق التى يسمونها الإنسان إلى مرتبة اشبعة والحساب أو مستفوية الأدم وشريعة والدين هى كما لا يحصى أخلاق تكليف وإرادة وليس أخلاق إخبار وتسخير

ومن هذا صبح أن يفارق المرأة كاس طبيعى وليست بالكائن لأخلاهى على ذلك لمعنى الذى يختار به خلق الإنسان ولا يشترك فيه مع سائر الأحياء.

ملاك الأخلاق الأول عند المرأة هو الاحتكار الحسى الذى ألمع إليه فيما تقدم، وهو من الغيرة التى يتساوى فيها إناث الحيوان وليس من لإرادة التى يتميز بها نوع الإنسان بحسنه

فامرأة تسعصم بالاحتكار الحسى لأن الطبيعة قد جعلتها حائزة للسابق اسعص من الذكور، وهى تنتظر حتى يسبقهم إليها من يستحقها فتلبيه تلبية يتساوى فيها الإكراه والأختيار

كذلك تصنع إناث الدجاج وهى تنتظر ختم المعركة بين الديكة أو تنتظر مشيئتها بغير صراع

وكذلك تصنع الهرة وهى تتعرض للهز وتعدو أمامه ليلحق بها وتصنع العصفورة وهى تفر من فرع إلى فرع ليدركها العصفور السريع، وتصنع الكلبة والفرس والأتان وهى مضطرة إلى الاحتكار لأنه الحكم القاهر الذى فرصته عليها وظائف الأعضاء

والبون بعيد جداً بين هذا الاحتكار الجنى وبين فضيله الحياء التى تعد من فضائل الأخلاق الإنسانية

فالحياء مفصلة بين ما يحسن وما لا يحسن وبين ما يليق وما لا يليق وما هو أعلى وما هو أدنى

والاحتكار الحسى عريضة عامه بين الإناث تروح إلى القهر والإجبار كانت ما كان التفاوت بينها فى درجة القهر والإجبار

ومتى بلغ هذا الاحتكار الحسى مبدعه الذى قصدت إليه الطبيعة فقد بلغت الأخلاق الأنثوية عايتها ولم يبق عنها ما يلبس بالحياء فى صورته ولا عى معناه

ومن صلاان الفهم أن يحظر على النبال أن الحياء صفة أنثوية، وأن النساء أشد استحياء من الرجال فالواقع كما لاحظ شويمهور أن المرأة لا تعرف لحياء بمعزل عن تلك العريضة العامة وأن الرجال يستحون حيث لا يستحي النساء، فيستقرون فى الحمامات العامة، ولا تستتر المرأة مع المرأة إلا لعيب جسدى تواريه

ولم يكن عمر بن أبى ربيعة مبالغاً حين قال إن الرحوه يزهره الحسن أن تنفع بل هو لو شاء يقال عن الأجسام ما قال عن الوجوه فلا تستتر الأنثى بعصرية شيئاً يمكنها أن تبديه إذ كان فى عوضه حلابة للنظر والاستحسان، ومن

شهد الحمامات العامة على شواطئ البحر رأى كيف تهصر الأكسيه ذات الرفارف المسببة ببدو للأظفار ما استتر من محاسن الأجسام
فاحقق الذي تتطلى به العراة بداهه هو خلق العريه احدى يونسك أن يشمل
بفئات الحيوان

وكل خلق «إردي» تتخلق به بعد ذلك فهو مربية عليها من الرجال بحارهم فيه على ديس المحاكاه وامطاوعه سواء هممه أو جهلت كبهه وممرماه، ولهد يكثر في النساء من يتقيدن بالعرف لتقديم لأن غوام العرف القديم عادات ومصطلحات هي أقرب إلى العريه لانيه من فصائل الفهم والإرادة، ويسر بيدهن حداً من تتحدى العرف بفصيولة واحدة من فصائل الاختيار

جرى حديث متنهل في محاسن يصم رهط من الرجال واسساء على قسط شائع من التعليم والعرف والآداب لخلقيه، فانساق الحديث إلى سيرة رجل يتحاور الخمسين داع عنه أنه يستدرج لفتيات اغريرات إلى دسره قبلهوي بهن ويظهر معهن في المحاقن العامة ويدفعهن إلى سهرات العبت وامحور فكان النساء أقل من حضر المجلس اشمنزاراً من سيرة ذلك الخليع كأنهن لا يرين نقصاً في رجل من الرجال بعد أن تكمل له تلك المحولة الحسوانية، أو كأنهن لا يصدقن أن الفتيات الغريبات يسقطن في شراكه مضروعات مقنونات على مشينتهن، ولكنهن راصبت مسرورات بما أتيح لهن من فرص المتعة والابتهاج

وكل ما بدا عييهن بعد ذلك من الاشمنزار فقد سرى إليهن مستعاراً ممن كان بالمجلس من الرجال فقد كانوا في هذا المجتمع انخاص كما كانوا في المجتمع العام كله «مصدر السلطات على حد قولهم» في لغة الدساتير

ومتى سقط سلطان الرجال في الأمة سقط معه سلطان الأخلاق سواء منها أخلاق العرف وأخلاق الإرادة

فالأمم المهزومة يشاهد فيها طوائف من النساء يحهرن بمحاداة الحدود الغاتحين ولا يكرهن أنهم قاتلوا الإخوة والأزواج والآباء، لأن الخصوع للعبة الصق بطبيعة الأنوثة العنصرية أو الحيوانية من جميع هذه الأواصر والآداب والعريه التي تستفاد من هذه الحقيقة أن النساء يوكذن إلى الفطرة في أخلاق العرائر والعادات، ولكن لا يصح أن يركن في الأخلاق الأخرى أخلاق الإرادة والصميم - بغير إحياء شديد، بل إكرامه يجاور حدود الإيجاء

* * *

والغريزة القاهرة تغلب محاسن لمرأه كما تغلب مقاصدها، فمهد لها العذر بين
يدي الطبيعة وإن لم يمهدها لها بين يدي الهامون والأخلاق
فالتضحية هي أسمى فضائل الإنسان.

وهي نصية لا يقدم عليها المرء كل يوم ولا يقدم عليها بغير دافع شديد من
وحى الفطرة أو من وحى الضمير

ولكنها من وحى الفطرة أعم وأبعد من وحى الضمير لأن سلطان الحكم والدم
عميق القرار في بواطن النفوس.

ومن ثم كانت المرأة أقرب من الرجل إلى انتصحيه في وظائفها النوعية لأنها
تستعد تصحيته من عرائر الأمومة وموت في سبيل إدريه كما تموت بعض
إناث الحيوان ولا تسهل التصحية على الرجل هذه السهولة إلا إذا ارتقى فيه وحى
الضمير إلى عرصة الدواعي الفطرية المودعة منذ الأزل في عرائر الأحياء، وتلك
موتبة يفر بلوغها على أياء آدم فلا نرا فيهم من فضائل الأنبياء وأسماه
الأنبياء أو كما قال ابن الرومي

وعزیز بسوغ هانیک جانا تلك عليا فضائل الأنبياء

إما يقدم الرجل على النصيحة في حمه أحو بها العامة بعريزة أخرى
معروسة على طبيعة انوع ولكنها أضحت وأقرب إلى الإرادة وهي عريزة القطيع
التي بسات مع الخلائق الاجتماعية ولم تنشأ بداءة مع الولادة كما بسأت العرائر
الأنثوية في جميع ناث الأحياء. هذا تصدى لرجل للقتال في الحيش أو لكتيبة
تحرك بإرادة القطيع كله وتغلب بها على الخوف وحس السلامة ولكنه قد يفرط
بانتصحية التي يدعها إياها وحى لضمير فيعلو على فصائل الأنواع والحساعات
ويخرج بروحه صعدا في طراز رفيع من الفصائل هو فصائل الأفراد والأفئاد

• • •

وانعثر المخلقة انى تغلب لب محاسن المرأة تغلب لنا تفنصها التي معب
عليها من بعض جهتها وقد لحصها لمسبى ولخص كل ما قين في معبها حيث
قال: «معن عهدا ألا يدوم لها عهد».

فهى تتقلب وتراوغ وبرانئى ويكذب وتخور ويميل مع الهوى وينسى في لحظة
واحدة عشرة السنين اطوان.

وهى مسوقة إلى ذلك بالفطرة الحسية التي خلقت فيها قبل نشأة الادار

الاجتماعية والارباب الدينية بألوف السنين فقد أعرتها الفطرة احسسية بالعيل إلى الأندر الأكثر من الرجال لتحب للعالم أحسن الأبناء من احسن الابهاء.

فلم يكن مما يوافق هذه الفطرة في العصور السحيقة أن تحفظ العهد لرجل واحد ومن حولها رجال كثيرون يتقاتلون عليها، وقد يعذب أحدهم رحبها الذي تحفظ له العهد أو يطالبها بحفظه

وكأن الحرب في بداية لحياة الإنسانية هي مقياس القدرة والرحمان بين الرجال في قنبلتهم أو في جميع القبائل المحيطة بها

فكان من شأن المرأة أن تسم لظافر بعد ظافر وشجاع بعد شجاع، كلما دبرت رحي الحرب بين غالب ومغلوب وبين الشجاع القوى ومن هو أشجع منه وأقوى.

ثم أصبح الما مقياس القدرة والرحمان بين الرجال وكان مقياسا صحيحا في العصور الغيرة، وظل كذلك أنوفا من لسين، لأنهم كانوا يكسبون اسال غنيمة في حومة الحرب أو ربحا من أرباح التجارة التي تقحم أصحابها في مجاهر الأرض ونهدهم لأخطار العتل والاستلاب وتلحمهم إلى الحبة برة وإلى احوال تاروت وتشهد لهم بمقياس القدرة والرحمان عن جدارة واضحة تعني المرأة عن التفكير وهي لا تعد كثيرا إلى التفكير قبل الاختيار

فلما في انقصر الذي عقدياه على رأى المعرى في امرأه من كتبها «المطالعات» والذي يقوله في جملة واحدة. إن المرأه وفيه صدقة، وفيه للحياة لا لهذا الرجل أو ذاك، وصادقة في الحب لا في إرضاء أهواء من تحب، ولو أعمما، بالنظر لعرض أن المرأة تحرر نفسها كما تحرر الرجل في سبيل الأمانة للحياة، وتكذب على نفسها كما تكذب على محبيها في صيانة عهد الحب فهي وفيه بالفطرة رصيت أم لم ترص، وهي صادقة بالإبهام حيث أرايت وحيث لا تريد.»

إلى أن قلنا «تحب المرأة السمات ومن ذا الذي لا يحب الشباب؟ إن الشباب نهضة الخلود وروح من روح الله تصور الاقدمون الآلهة فلم يفرقوا بينهم وبين الشباب وأسعوا عليهم كساء سوميًا من نسجه وبهاء متجددا من صنعه شعورا معهم بأن الشباب سمة العباد الخالدة وروح السعسى الإلهية وترحيب خير الشباب على شوه وإعساسه على عيوبه»

ثم نحب المرأة المال ومن ذا الذي يكره المال؟ غير انما قد يرى للمرأة سبب غير سائر لأسباب التي تعرى بحب المال وإعظام أصحابه يرى أن كسب المال

كان ولا يزال أسهل مسيار لاختبار قوة الرجل وحيثه وأدعى بطواهر إلى حداث القلوب والأنظار واجتلاب الإغجاب والإكبار، فقد كان أغنى الرجال في القرون الأولى أقدرهم على الاستلاب وأحراهم على العذاب وأحماهم أبغاً وأعزهم حياءً، فكان العبي قرين الشجاعة والقوة والحمية وعنواناً على شوائل ارحولة لمحبيه إلى النساء أو لتي يحب أن تكون محبة إليهن ثم تقدم الزمان فكان أغنى الرجال أصبرهم على احتمال المشاق وتحشم الأخطار وانتمرس بأهول السفر وطول الاعترا ب وأقدرهم على ضبط النفس وحسن التدبير فكان الغنى في هذا العصر قرين الشجاعة أيضاً وقوة الإرادة وعلو الهمة وصعوبة المراس ثم تقدم الزمان فصار أغنى رجال أبعدهم مخزاً وأوسعهم حيلة وأكيسهم خلقاً وأصلبهم على المثابرة وأجلدهم على مباشرة الحياة ومعاملة الناس، فكان العبي في هذا العصر قرين لثبات والنشاط ومتانة الخلق وحمولة النظر في الأمور .

كان هذا كله في العصور الأولى قبل تشعب الحياة لاجتماعية وتعدد الملكات والصفات التي تكفي الرجلان والتقدم للرجال .

ثم تعددت هذه الملكات والصفات فقدم في طبيعة المرأة «برج يابل» مخفف من اختلاط الأصواب والدعوات

كان رجلا لرجل بسيط المظهر وكانت فطرة المرأة البسيطة قادرة على تمييزه بغير إعانات بلعكر ولا إطالة لروية

ثم تشعبت الملكات والصفات ووجد في العالم رجال منارون بأكبر المراتب وليس للمرأة من مظهرها البسيطة معين على تفسير مراتبهم وعرفان أقدرهم، والفرجح بينهم وبين من دونهم من أصحاب المراتب العظيمة التي تنكشف للنظرة الأولى ولا تحتاج إلى إنعام بضر أو موازنة بين أنواع وأشكال رجل الحرب الذي يظهر بالهوة والقدعة، ورجل المال الذي يكسب بالقوة والقدعة، وكلاهما مفهوم واضح مكشوف على ظواهر الأشياء

ثم انفصلت الحرب عن الشجاعة في بعض المواقف، وانعصر المال من القدرة الراجحة في كثير من المواقف، فأغنى السلاح والكثرة ما لا تعنيه الشجاعة وكسب المال بالإسفاف والساعة وخدمة الشهوات . هذا هو برج يابل الذي لا تدري المرأة فيه من تسمع ومن تجيب والذي تحار منه غير التمييز والتفصيل وقد كانت قبل ذلك لا تحار في تمييز أو تفصيل.

وزاد برج بابل طبقه على طبقه الكثرة أن الآداب الاجتماعية وآداب الأسرة ظهرت بين الناس وهرصت على المرأة أدبا جديدا غير الآداب القديمة، أدبا يطالبها بالوفاء والامانة ومغالبة الميوس إذا باصل من حولها ارحال، فراء فى الحيرة والتلبليل ولم يخلق بإرثه فى نظرة امرأة معين على التمييز والاهتداء إلا ما تقتبسه بالتعليم والتفكير والإيحاء وهو ضعيف محدود لا يقوم لإنهاء العطرة القديم إذا استجر الخزع واصطربت الأهواء.

فانقسم النساء أقساما شتى فى الأخلاق العظريه ولأخلاق الاجتماعية فسم مع العطرة القديمة وقسم مع الآداب الجديد، بل أصبحت كل امرأة مجالا لتعدد هذه الأقسام تميل مع هذا أو ذاك كلما سالت بها دواعيه

فنحن إن نقول إن امرأة تطيع الغرائز الجنسية فى القلب والمرأوعة وخيبة القرباء لا نقول ذلك لتعديها كل العذر أو لئسقط عنها واجب لتغلب على هذه الميوس التى تعيرت وجهاتها مع الرعن ولا نراى عرصه لكثير من التعبير فإن الأخلاق لم تجعل لإيقاء العطرة على عيوبها وإنما جعلت لتهديت تلك العيوب ورب صنها وشد أثر النفس بالمثل الأدبية التى نفسها على عيوبها ولكنها تقول ما نقول لنذكر أيضا أن فهم الغرائز الجنسية ضرورى لفهم الأخلاق لى تتصل بها فلا فائدة من البحث فى رياضتها بالآداب الاجتماعية فى البحث مما يقابها من أصول العطرة التى تعم جميع الأحياء ، ومن عمومها بين جميع الأحياء بماى من صلاحها بالرياضة والتقويم بل هو الذى يسوغ ذلك الإصلاح ويوجهه ويبشر بفلاحه، لأن الإنسان قد علا فوق سائر الأحياء فمن الواجب إذن ومن المستطاع أيضا أن يعطو قوقها بالآداب والأخلاق

ومن معارفات العصور المتأخرة أن يمج فيها طائفة من الدعاة وأصحاب الآراء يستخفون بالاحتجار الحسى الذى كان عصام المرأة من جماح الأهواء زمنا طويلا ويستخفون معه بما عداه من الحواجر الجنسية لمعروسة فى طهاغ الأحياء، لأنها فى رأيهم يقية لا ضرورة لها من بينات المعيشة الحيوانية الأولى فعددهم مثلا أن حرية المرأة فى العصر الحديث تبيح لها ما حرم عليها فى العصور بقديمة، فلا يعيبها أن تبدأ الرجن وتلاحقه لتستولى عليه كأنما كان تركيب الجسم الأصهل فى الأنوثة والذكورة مسألة من مسائل انحرابات التى يذهب بها نظام ويأتى نظام ويبرمها قانون وينقصها قانون

وعندهم أن الحيوانات لم تقتصر على موسم واحد هي التماسل إلا لأنها تشبع من الطعام في هذا الموسم فتتمثلج أحسدها بفحص من الثورة الحيوية يدعوها إلى طلب الدرية

وليس أجهل بأسرار لحياه - وسر احدي أكبر أسرار الحياة - من يقع في تفسيره وردها إلى أصولها بمثل هذا التعليل انقريب.

إن هذا التعليل القريب لا يكفى على الآخر لتفسير اظاهرة التي أشار إليها أولئك الدعاة إذ إن الثمرات ليستية تتولد في اوسم بعينه وهي بعداء الذي تعتمد عليه ككلات لعشب من الحيوان، ومتى رادت قوة التولد في النبات فأخرى ان تريد قوة التولد في الأحياء لغير ذلك السبب الذي ذكره وعقوه بريادة الثمرات

ومن احيون ما يعتمد على اللحوم دور لعشب ويأكل منها طوال العام ومنها الأسماك التي لا موسم عندها للبيات وهي مع هذا تعرف لها مواسم للتماسل وتخرج إلى الأنهار لقضية مير لأوس الملائم للقاح مير جراثيم الذكورة والأنوثة.

وقد نختلف لأواء والدواجن في موسم التماسل ويكنها على التعميم لا تقارب الأنثى بعد حملها ولا تعبت بعريضة النوع للدة الأفراد فالسر أعظم مما يطمون بكثير.

وحوجر الجنس وما وافعه لا تعسر كلها بأمثال ذلك التعليل الهزيل.

وما لا شك فيه أن الأخلاق الجسدية كسائر الأخلاق قوامها ضبط النفس وهو لا يؤمق انذهاب مع الهوى حيثما تعرض المرء للاستهواء ولا بد من ضبط النفس والقدرة على الامتناع لتحقيق كل خلق كريم يصلح للأفراد أو للأقوام أو للأنوع والإنسان أحوج إلى الحواجر الجسدية من احيون، وليس بأعنى منه من تلك الحواجر قدما مع الحرية كما يخيل إلى أولئك لثراثرة السطحيين

فالحيوان يتشابه ويتماثل ويصعب التفريق بين أفراد في الصفات المشتركة في سلالة النوع كله فلا صير على النوع أن يتلافى أي ذكر بأي أنثى أو ينجبا أمثالهما من الذكور والإناث

لكن الأنواع كلما ارتقت تعدت الصفات التي يكمل بها الفرد ذكر كان أو أنثى ويبلغ تعدد الصفات أقصى في النوع الانساني سواء بين الذكور أو بين

الآداب حتى ليكاد يعرق بين ربح ورجل ولفرق بين امرأة وامرأة أن يحق
بالفرق بين نفسين أو مخوفين من نوعين مختلفين

فليس كل رجل مديلاً من كل ربح، وبست كل امرأة مديلاً من كل امرأة ويحب
على الرجل أن يمتنع حتى يتاح له امرأة التي يلائمه، وعلى المرأة أن تمتنع
حتى يتاح لها الرجل الذي يلائمها

وأن يتعلق الأمر «بالشخصية» المميز لا بمجرد امرأة كائنة ما كانت
أو بمجرد ربح كائناً ما كان، كما معنى كل فرد عن مثيله في الأنوع الوصيفة
بين الأحياء

وفي هذه الحالة لا يمتنع النوع بكل اتصال تتحقق به المنفعة الحسية بل
ينفقه الاتصال الذي تتم به الشخصيات وتتوافر فيه أتم صفات الرجال وأتم
صفات النساء

ثم تنشأ الآداب الاجتماعية وحقوق الأسرة وأمانه السبل فإذا هي قد الرمت
الرجال والنساء أدباً من جهة أن يطاع وأن يحسب لها أوفى حساب

نعم إن هذه الآداب الصناعية أو مبتدعة من أحكام البسة بني خلقها الناس
ولكنها - كجميع الآداب والغروض - تستند إلى أساس فطري عريق في لطبيعته
وهو ضبط النفس وقوة التمسك على مقاومه السوارع والاهواء

وبصورت لذلك حثلاً صغيراً من المحرمات التي حثت بها الآداب الدينيه
أو العرفية بعد ظهورها في المجتمعات الإنسانية غير تحريم القمار أو الخمر
أو السرقة لم يعرف في آداب الناس إلا بعد ظهور هذه الآفات، ولكن ضبط النفس
الذي يباط به الامتناع عنها هو خلقه الطبيعية لم يمسأ مع العرف أو الاصطلاح
فلا يزل الفرق بين إيمان يستطيع أن يمنع عنها وإيمان لا يستطيع الامتناع
فرقا في صميم التكوين الذي لا يمسأه العرف ولا يسب إلى الاوصاف الصناعية

وكذلك الحواجر الحسية التي يفرضها المجتمع أو توجبها مصلحة الأسرة هي
حواجز لا يقدح في أصالتها أنها حدثت بعد حدوث الحاجة إليها، لأن القدرة
عليها فصيولة من فضائل التكوين الأصليين

والرحم الذي يقدر عليها هو ربح ممتد في خلقته الطبيعية كالمرأة التي تقدر
عليها وكلامهم روح أصلح من غيره للبقاء وأحب الأبناء

هأسخف أسخف أن يص بالحصارة المدسة أنها رخصة مبيع التهاكت على

المتعة وسبب الحواجز الحسية لأن سهاقت نقص هي الحققة قبل ان يكون
نقصا في الآداب الاحتماعية، وهذا النقص معيب وختم العقبي وإن لم تحرمه
الآداب.

وسيطون التبديل والتعديل في العرف والتشريع واسمائل المحبوبة بين الناس
كلما تصاولت الأحياء وسقون كل ذي رأى قوله الذي يحوز فيه الحدال. ويبقى
حكم واحد لا يبدل له وقول واحد لا يحوز الحدال فيه، وهو من الاحتجار موام
أخلاق الأسوثة وأن المرأة التي تساه هي حبروان ناقص في تكوينه، وليس
عصاري القول هيها أنها فرد مقصر في حقوق المجتمع والأسرة، وأن مساك
الأخلاق جميعا - ما أوجبه العطره وما أوجبه المجتمع هو صبط النفس
والرفع عن مطاوعة كل عارضة من عورض الأهواء

حقوق المرأة

كلما تكررت حقوق المرأة في العصر الأخير يدرج إلى الدهر حقوقها السياسية التي يطالب بها معصرهم ويدور انبحث عليها بين أصحاب المذاهب الاجتماعية الحديثة هم لها حق في ولاية لحكم" هم لها حق في الانتخاب" هم لها حق في الوظائف العامة وتدريب المتاحر والمصانع وأسباب الثروة على اختلافها؟

ونحن في هذا الكتاب لا يهمنا تفصيل لغور في هذه الحقوق من ناحية الفقهاء أو الناحية السياسية لأن المهم عندنا أن نطرح إلى طبيعتها وإلى الفوارق الطبيعية بينها وبين الرجل لا إلى تلك الحقوق أو هذه الفوارق التي يجيء بها شريع ويذهب بها شريع، ويعرفها أمة وتكرها أمة، وتحمل لتعديل والتبديل بما يسمح لفلسفة والساسة من الخواطر والبرامج والبدوات.

ولا يسمع العقل أو الحق أن تطفر المرأة بما نشاء من الحقوق السياسية أو الحقوق الاجتماعية إلى تغيير وتبدل مع نظم الثروة ونظم لمجتمع وأسايب المعاملات.

لها كل حق لا يحرجه عن واجبها الأول، لأنه واجبها الذي لا تحسن غيره ولا يحسنه غيرها وهو البيت والحيل للحديد.

نشى في قلب هذا العام الصاحب مأوى يسكن إليه ابشرية هترة من الرمن من زحام الحياة

وينشئ للعالم الحيل الذي يقوى في عده على هذا الزحام، وليس هذا ولا ذلك عمر الآباء، منكى هو إذن عمر الأمهات لأنهن إذا تركته لم يحسن خيرًا منه، ولم يحسنه غيرهن خيرًا منه. ففى تركه تصيبغ بغير تعويض

* * *

قال شوبنهاور إن «أرسطو شرح في سياسته ما حاق به من إسيرته من جراء تساهلهم مع ساء عشرتهم وبحويلهم حق الوراثة والبنانة ومنحهم قسطًا كبيرًا من الحرية، وبين كيف أن هذا التساهل كان سببًا من أسباب سقوط إسيرته واصمحللها»

ثم قال «وما لنا لا نقول نحن إن بقود النساء الذى أخذ يمتد ويشد في فرنسا

مدد أيام لويس الثالث عشر كان سر ذلك للخبر الذي أُلِمَّ بالبلاد والحكومة تدريجاً، وما زال بها حتى أقصى إلى الثورة الأولى وما حوت إليه من لقلات والأموال^{١٠}.

والحقيقة أن المرأة التي خصعت طائفة أو كارهة بطوار امد التاريخ وما قبل التاريخ قد يدعى لها كل شيء إلا السيطرة على الحياة العامة وتوجيه الدول والحكومات

فليس في تجارب العصور ما يثبت ذلك وفيه الكثير مما يدمج وينفي ومن العبت أن مستشهد على هبة الحكم عند المرأة بالملكات اللاتي حبسن على العروش الوريانية في الأرمية القديمة فابهن محاولات الفواهد وانما قد مصويات في حبب الأساطير والأوهام مشتركات في الحكم غير مصعدات حتى في تش الأزمئة التي كان حكم الفرد فيها مرضياً عنه غير مخصوص على بعضه في الكتب والرسائير ولكن إذا استشهد على هبة الحكم بالملكات المعروفات في العصور الحديثة قل قيام الحكومات الشعبية فهن أبداً بين اثنتين امرأة مفسدة أو امرأة صلح بمقدار ما نقص فيها من صفات الأبوثة وراد فيها من صفات الرجل، ويمقدار من أعابها من المشيرين والخبراء والعش اليارر على ذلك مثل «أليصابات» ملكة الإنجليز على عهد شكسبير

لقد كانت الأمم المسعدة تدين بالملك لإحدى الملكات اللاتي اشتهرن بالكرم والمثابرة من طراز كاترين الثانية في البلاد الروسية فتصح كما يصلح الملوك الرجال ونفسد كما يفسد الملوك الرجال. ولكن الأمر الذي يفوت بعض المؤرخين أن البلاد الروسية لم تكن لتحتمل فساد عشر ملكات متواليات من طراز كاترين كما احتمت فساد عشرات من الملوك الذين توالوا على عرشها القديم لأن فساد جيل واحد في حكم كاترين الثانية قد هدم نظام جيشها وعرضه للهرائم مدى أجيال

وما لم تكن أنصار الحقوق النسائية يرعمون للمرأة أنها أقدر على الحكم من الرجل مقصاري ما يزعمونه أن الرجل مثلها وأنها هي مثله في سياسة الحكومة. فلا صير إدس من مفرد الرجل بالحكم لأنه سيحكم كما يحكم ولا يهبط بالسياسة إلى ما دونها وإنما الصير أن تصرف هي عن تنظيم البيت وسنة الجيل المقبل وهي صاحبة هذا الحمل وأولى به وأقدر عليه.

واعتقادنا أن الطريق يطول بنا قبل الوصول إلى نتيجة من سؤالنا عن مساواة
اسرأة للرجل في الحقوق السياسية، وهل لها حقوق هذه المساواة أو ليست لها
هذه الحقوق؟

لكننا سننتهي إلى إجابة قبل ذلك إذا سألنا هل تعيد هذه الحقوق؟ وهل
تساوي عندتها الشرائع البيئية إذا توفرت عليها النساء؟

واعتقادنا هنا أيضاً أنه لا النساء ولا الرجال يصلحون المجتمع بالقوانين
والأصوات الانتخابية وأن القانون المستقيم يعرج في المجتمعات العرجاء،
ويساء تطبيقه وتنفيذه ولو أفرغ في قالب الكمال. هذا صلح تطبيق القانون
وجرى تنفيذه على سبيل العدل والإنصاف فلا بد لذلك من صلاح سبق وتمهيد
شامل يبدأ من البيت والمدرسة ويحيط بالشارع والحائزات

وعدد للمرأة حقوق غير حقوق الانتخاب تصل إليها إلى التوجيه والطلب
والإيحاء وهي حقوق الأم وحقوق الزوج وحقوق الحظيرة وحقوق الصديقة
الموجهة إلى الدهن والعاطفة والخيار، فإن كانت هذه الحقوق مشلولة في يديها
هذه هو إفلاس الأنوثة الذي لا يعوضه عنه عوض قط سأتى من جانب التشريع
وأصوات الانتخاب

ولسنا نعرف كلمة ورثت حقوق امرأة كما ورثها التشريع الإسلامي حيث جاء
في القرآن الكريم ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّزْجَانِ عَلَيْهِنَّ ذُرْعَةٌ﴾

[البقرة ٢٢٨]

فحيوان حقوق المراءد الخاصة هو واحباتها الخاصة
واحباتها الخاصة هي الواحات التي تحسبها ولا يحسبها غيرها ولا يحس
عملاً الفصل منها

وهي الامومة وتنظيم الحياة المعيشية ممن إيد تركته لم يخففها لرجل عليه ولم
تنزل عضلاً آخر أجدر منه بولايتها

ذلك هو ميراث واجباتها وحقوقها.

واللرحان عليهن ذرعة الإشراف على الحياة العامة التي يفرود بها عدد نشأت
في العالم حقوق أو واجبات اجتماعية، وافرودوا بها بحكم العوارق التي بينهم
وبين النساء في تركيب الأجسام وخصائص الملق والتفكير.

نعم إن رحام العيش في عصر الحديث يلقي المرأة إلى كسب الرزق بالعمل ولا يعينها بأحياة البيتية عن مشاركة في الحياة الخارجية ولكن المرأة كانت في الحقيقة تعمل للرزق منذ كانت ولم تبدأ العمل للرزق في العصور الأخيرة
 فإن كانت هذه العصور كموا لمقاسه لضرورات التي تواجهها فمهمتها الكبرى هي تنسيق العمل بين القادرين عليه بحيث لا يجور عمل المرأة على رسالتها في الحياة وهي رسالة الأمومة والبيت والأسرة.
 وكما من عمل تستطيع المرأة ولا يحور على تلك الرسالة بل كما من عمل يتمم أعمال تلك الرسالة ويوافقها ويجري في أثرها كأنه جزء منها

فهذه تربية الصغار والدواجن وصناعات الألبان والفاكهة والرياحين ومشاركة الأزواج والآباء فيما يقدرون عليه من أعمال الريف والزراعة الخفيفة والاشتغال بصنوف كثيرة من الصناعات الدقيقة التي قد تحيد الريفة والحصرية على النساء، ومنها لنسج وانتطير وبسبك النحف وسائر الحرف اليدوية التي تمارسها يد المرأة منذ عهد الحضارة الأولى، كنه عدا لتعليم والطبيب والمؤسسة في البيوت ودور العلاج

فإن يصر على المرأة بالعمل في غير هذه المصادر لا يكر عليها حقاً من الحقوق، ولكنه يحيلها إلى وأحياء الأصيل أو يوقع بين حقوقها ورسالتها لوحيدة في العصر الحديث على تخصيص: لأنه عصر يشتد فيه الكفاح. والعصر الذي يشتد فيه الكفاح لا يستغني عن حصانة المرأة الزهقة من هو أحوج إليها، ولا يلحق البيت ويهدمه بل هو أحرى أن يدعمه ويحرس حماه ولا يحسد المرأة لاقتحام الرحام بل يجندهم لتفويض هذا الاقتحام

وقد قيل كثيراً عن استقلال المرأة في العصور الحديثة، وليس كل ما قيل بالكذب وليس كل ما قيل بالصحيح

ونحن لا نعرف استقلالاً للمرأة هو شر من استقلال قصيتها في ترويح المذاهب الاجتماعية التي تهدم الأسره وتبطل مزية المرأة باسم المساواة بين النساء والرجال

منقسم المزايا بين النساء والرجال أمام الإنسانية قيماً من الأخلاق والعواطف يمحوها التشابه المزعوم بين الجنسين، والمساواة المدعاة بين العنصرين.

ولم يزل من باب الطبيعة أن تقسم الوظائف وتعلم منها المزيد من لتوزيع
والتحسين في صور الأخلاق وأنواع الإحساس

فدقسم النوع الانساني إلى جنسين قد زاد ثروته من صور الأخلاق وأنواع
الإحساس، بما خص النساء من صفات لا تكمل في الرجال وما خص الرجال من
صفات لا تكمل في النساء، وهذه هي القيم الحيوية التي لا يعرط فيها أحد يعلم
ما معنى التقدم والارتقاء في أطوار الحياة

وشدة الأسره قد نشأت بين الناس تلك الأواصر التي هي اساس العلاقات
الاجتماعية وأساس الشعور بالألفة ولعاطفه، أو الشعور بسجية الولاء والايثار
والنصحية، أو الشعور بالتوفير والحبس والرفق والإيثار، وأشبه ذلك من أنواع
الشعور التي ما كان لها من أصل تتفرع عليه لولا أصل الأسرة القديمة، حيث
بصر الآباء والأمهات والأبناء والأرواح والزوجات بتلك الوظائف النفسية
متعددة في طوبى الإنسان أنواع العودة وتفرعت من الأسرة إلى السعداء
والأبعدين، ولا تزال تسرى وتتفرع إلى غير انتهاء

تلك هي القيم الحيوية التي استفادتها البشرية من تقسيم الوظائف
بين الجنسين، ومن قيام الأسرة وهي بحوى الكبار والصغار من كلا
الجنسين فتحوى العلاقات بين جميع الأسس والمدارك والحواليج وصروب
الطاقة والاقدار

هذه القيم التي هي مكسب الحياة البعيس من مخلقات الزمن القديم هي الثروة
التي يعصف بها بعض الدعاة حين ينكرون الأسرة وينكرون الفوارق بين الرجال
والنساء، ثم يبنون حياتهم الاجتماعية على نحو هذه الفوارق والقاء ما كسبته
من تنويعها في عرض الطريق.

إنهم ليفعلون ذلك لأنهم يريدون إثبات مذهبهم وتأييده لا لأنهم يظنون إلى
حقائق الدين ويحسون في طويتهم حسها السليم ويعارون على ثروة الحياة من
القيم والمقام الروحية وأمانين الشعور والتفكير

ماتبايع كارل ماركس - وهم أصحاب هذه الدعوة - بقرصون المماثلة بين
النساء والرجال لأنهم لو قصروا الكلام على العمال في مواجهة رأس المال بقي
النساء وخشوا أن يقوم رأس المال على العاملات، فوجب عندهم على هذا أن
يصبح النساء مثيلات للرجال ليقاج لهم التعصب على رأس المال

ولولا أن هذه المماثلة لازمة لتأييد مذهب الماركسيين لما سكوا بها هذا المسلك ولا استغلوا لدعوتهم ذلك الاستغلال

• • •

في الهند تكثر القردة ويكثر من قديم الزمن من يستعملون دكاها وقدرتها على التعلم فيعلمونها بعض الحيل المضحكة وبعض الحركات البهلوانية ويطوفون بها على الناس ليعرضوا عليهم حيلها وحركاتها ويكسبوا القوت الضرر من هذه الصناعة لمروراة فحظر لبعض المستغلين على طرد العصر الحديث أن يستغلوا هذه القدرة فيما هو أنفع وأحصى وأن يحربوا تدريب القردة على تحريك أنوار التنسيج وهو أسهل وأسط من الحركات البهلوانية المعقدة التي تحدثها ولا تحصى فيها بعد المراءة عليها ففعلوا وبحتت لقردة في دارة مصمم صغير يشتغل على عدة أنوار ولكنهم لاحظوا أنها إذا اجتمعت معاً في بقعة واحدة علت عليها طبيعة اللعب انتهى ركبت فيها فتركب العص أو عيشت به وأفسدت ففعلوا ذلك بإشرافه والإرهاق، واكلوا بها حارسا يحمل سيفاً مصلتاً كلما ونى من القردة وأر او عبت عادت أهوى عليه بالسيف قطاع برأسه فإذا هي قد بقصت عنها لعبت وهزلت إلى العمل، وحدت فيه فلم تزل جادة غابة أبجد برهة من انوت حتى نبتى أناس انطاحن فيعار عليها الدرس المخيف من جديد.

• • •

لو علم كارل ماركس وأتباعه بقصة هذه القردة وعلموا أن شيوخها مستطاع في معاصر النسيج الحديثه وعبرها من لمعمل انتهى تشبهها لما كان بعيداً منهم أن يعمموا الحقوق والمشابهة قليلاً أو كثيراً حتى تنطوي فيها قصائد القردة ولا تنطوي على نوع الإنسان وحده من لعاملين والعاملات بين الرجال والنساء لأن المذهب عندهم ليس بحق لانه حق، وليس بباطل لأنه باطل، ولكنه حق بمقدار ما يثبت من دعوتهم ويمهد لها، وباطل بمقدار ما ينقص من دعوتهم ويعترض في سبيلها، ولولا ذلك لما عموا عن عوارق في لخلق وعن هائدة الإنسانية من توسيع هذه العوارق وخسارتها بمحوها وتعفية، ثار

• • •

ولقد سلكوا في نظرتهم إلى الأسرة مثل هذا المسلك فأنكروا فصلها في خلق الأنصار والعواطف وتوليد الحقوق والوحدات بين الأفراد من الأقرباء والبعداء.

وهم يعرفوا لها إلا أنها أعانت الاستغلال في عصور الإقصاع خاصة فارتبط به نظام اميرادات وقامت عليها قواعد الملك والادخار والتوريث وتعاقب السادة من النبلاء والفرسان، وخطبوا كدأبهم بين كراهة الطبقة كأنها جزء من نظام الثروة العامة وبين كراهة الطبقة كأنها جزء من إنسانيه يعمل عمله في توليد ثرائها وترويضها بأقيم الأدبية ويترك لها حصونه من هذه القيم مبتغين عليها أن تصوره وتصيف إليه كما صابت المخترعات والآلات وهم تقلل إبهام تندهم وتعفى على أثارها، لأنها من توليد عصور لإقطاع أو عصور المرابين والمستغلين.

فإذا كانت القرائح الذهنية قد أبدعت الصناعات والآلات انتى أعانت على تسخير الضعفاء وطغيان الأقوياء فمن الحسن أن تذهب لسحرة حيثما أمكن ذهبا وليس من الحسن أن تذهب القرائح الذهنية ولا أن تذهب الصناعات والآلات وتحتقر لقدرة التي تسعى بها الإبداع والاختراع.

وإذا كانت عواطف الأسرة قد أخرجت لناس قاموسا يصير أو سنة شعاب أو عادة تتخلف عن أودها فمن الحسن أن تذهب التقوانين والسنن والعادات وليس من الحسن أن تذهب عواطف الأسرة ولا أن ترجع إلى مصدرها من هوارق الطباع وبحوالج بين الأراج والروحيات والأهواء والأبواء، فبعضها ويسفه أحلام السعترين بهد ويبطل هذه الفوارق من معدنها ويقول إن وشائج الرحم بين الأبوثة وليكورة فضول من بقايا عهد الإقطاع أو بقايا عهد الرعاة أو بقايا عهد الربا والاستغلال فكل لون من ألوان الوشائج الإنسانية فهو قيمة نفسية تجمعها وبقتديها وبصيفها إلى ذخائرها الحيوية ولا يفرط فيها كما لم يفرط في القدم اصناعيه والقيم الذهنية، فليست كل ثروة الإنسان ثروة مصنوعات ومخترعات، وليس الراد الإنساني راد الإحساس والعاطفة وأما بين الشعور والخلجات هو الزاد الرخيص الذي يستوى أن يبقى أو يذهب من حيث جاء.

وستنار المرأة من حقوقها المصححة أو المزعومة كل ما تستطيع المرأة أن تأخذه وكل ما يستطيع الرجال أن يمحوه أو يبرلوا عنه.

ولكن الحقوق التي تقوم على محو الفوارق بين الحسنيين هي تكاليف الأسرة والحياة الاجتماعية هي من بداية الأمر ليس بحقوق كما يسميها المتحشرون بها، لأن الحقوق لا تناقض طبيعة التكوين.

وهي بعد هذا ليست مما يملكه الرجال لينزلوا عنه طامعين أو كارهين وليست

مما تأخذها امرأة لأنها لا تريد في الخلق ولا تنقص منه ما تشاء ومحو الفوارق
قصاء بيد الطبيعة لا بأيدي الأمم أو أيدي الحكومات ومجالس التشريع
وربما استقرت الحقوق الاجتماعية طويلاً على ظلم المرأة لأن ظلم الضعيف
سنة معهودة في الطبيعة لم يبطل قط، ولا يحالها تبطل كل البطلان في حياة
الحيوان ولا في حياة الإنسان

ويكسر الحقوق الاجتماعية لا تستقر طويلاً على ظلم الرجل لأنه اختلال بنقص
سمة لمدى وسمة الطبيعة على النساء

ومن ظلم الرجل ألا تكون له مزية في الحقوق الاجتماعية وهو أفقر منها من
امرأة كنهما نقلت الآراء فمهما ينبغي من عو المتحدثين بالمساواة فهم على
الأقر لا ينكرون أن الرجل بقدر على أعصار كثيرة في خارج بيته لا تغدر عليها
المرأة ولو في بعض الأوقات التي تشع فيها ما جعل وابحصنة ويدير استت
ومن ظلم الرجل ألا يكون رقابته على المرأة أرفع من رقابة المرأة عليه لأنها إذا
فرطت في حقوقه ألحقت به سلا غير سله وهو إذا فرط في حقوقها لم يلحق بها سلا
غير سله ولم يخالف بذلك قوم خلقه الأصيل في جميع الدكور فإن الذكر يؤدى
فريضة النوع إذا اتصل بأكثر من أنثى واحدة، وليس لأنثى فريضة نوعية تؤدى بها
«تصلت بأكثر من ذكر واحد إلا أن تكون شهوة خائنة أو تطللاً من منانة لأخلاق

ومن ظلم الرجل أن ينكر عليه العريضة والإرادة وما يتبعهما من وجوب الصناعة
في بعض الشؤون إن لم يكن معظم الشؤون فتركيب خلقه هو تركيب المريد وتركيب
خلق المرأة هو تركيب المنية أو الموافقة للإرادة الأخرى وما كمن في دخيلة
انحس عند الأزل هيهات تبدله أقوال امجالس وصفحات الكتب وبصوص الدساتير
وكل نظام اجتماعي يبنى على هذا «الظلم» عبت وصلالة ولو طعت به نوبة
من نوبت المذاهب المعروضة إلى حين ففعل صلاح المذاهب للدوام لا يعرف من
دليل حاسم كما يعرف من دليل الفوارق السرمدية بين الجنسين، ومن ميل الحور
على حدود الطبيعة إزاء الرجال وإزاء النساء

ومن لغو القول أن يسهب الباحثون في حقوق المرأة بعد أن تتيسر لها رعاية البيت
وتدثنة الحيل الجديد، فهذه الحقوق فصوص لا تريده امرأة ولا ترحب به إذا جاءها بغر
سعى منها، إن هو وهم لا يحى بسعى في مقدور ساع أو ساعيه وإن المرأة تطالب
امجتمع والرجال بما يملك المجتمع أن يعطيه وبما يملك الرجال أن يعطوه وليس إلقاء
الفوارق وتناجها ما يعطى بقوة أو يحيلة أو ما يساع منه الأخذ والعطاء

الجنس

ظواهر الجنس أعرق وأهم وأشيع هي ديناسا من أن يتركها الإنسان ممسكاً به ذلك الزمن الطويل بغير فهم أو بغير تفهم يحاول به التحقيق من طريق التخمين والتوهميق، إن أعوزته رسائل العلم إلى الفهم الصحيح وقد خسر وأصاب.

فقال قديماً بلغة الأساطير، ما يقوله الباحثون اليوم بلغة العلم والتفكير، ولمس الحقيقة بخيال الشاعر وقطنة الساحر قيل أن يلمسها بمبضع الجراح ومنهجر لكشاف.

وعلاصة ما يقوله العلم اليوم إن الحياة لتلي لا حسن بها سابقة للحياة التي انقسعت إلى جنسين ذكر وأنثى، وإن صفات الجنسين موزعة بينهما في أصولها الأولى، وإن هذا التوزيع في أرفع الأنواع الحية لم يبلغ من الحسم مبلغه الذي يمنع كل تماثل ويدفع كل التباس.

وقديماً لمحت الأساطير إلى هذه المعاني برموزها التي تصوى لحقائق لينشره من يريد كما يريد.

في أسطورة من أساطير اليونان القديمة أن الذكر والأنثى كان بنية واحدة فشققها الآلهة شقين لأنهم أوجسوا خدعة من تمردها وعصيائها وأنها لا تكفأ منذ استقلت بصفتين يبحث كل منهما عن صاحبه ليتم به ويرجع معه إلى أصله.

وفي أسطورة أخرى هي أعمق الأساطير في معناها إشارة إلى اختلاط الصفات الجنسية على نحو لا يقاں في لغة الرموز ما هو أصدق منه ولا أبين عن الحقيقة وفحوى هذه الأسطورة أن رباً من الأرباب وكل إليه أن يصنع جمهرة من الذكور وجمهرة من الإناث ثم دعى إلى وليمة في الأولمب فسكرو وعريد وذهب إلى مصنعه مخموراً لا يعي من الخمار وأمامه عمل النهار وام يصنع منه شيئاً وليس له أن يوحنه إلى غده، لأن الأقدار تصنع كل شيء يميعد لا يختلط بغيره وكان قد أعد الأعضاء والحوارج والخواالج والأحاسيس وفوى أن يميزها ويقسمها قسمين قبل أن يضعها في أهبها وتراكيبها، فلما أعجل عن التمييز والتقسيم، إذا هو يتناول الإهاب فيلقى فيه بما اتفق له من الأعضاء والخصائص والطباع فيقذف قلب رجل في إهاب امرأة ويضع رأس امرأة على عبق رجل، ويمنح فتاة عضلات تلي

أو يجمع متى أعطاف فتاة، فلم يأت الموعد الموقوت حتى كان قد هرع من عمله وصنع كل ما عنده من الذكور والإناث، ويكفيها هذه الصنعة المختلطة التي يلبس فيها الذكور وتختلف عليها الأسماء والمسميات. فلا يدرك أن ترى امرأة لها صلابة رجل أو رجلا له رقة امرأة، ولا يتفق لك دائما أن ترى رجلا بحثا كله رجولة أو امرأة بحثا كلها أنوثة، ولا أن توافق المسميات ما أطلق عليها من لأسماء أو ما أودعته من الجوارح والأعضاء.

وجاءت الفلسفة في القرن الماضي فأعادت هذه الأسطورة بالصيغة الفلسفية التي اختارها النابغة الألماني «أوتوفينمجر» في كتاب «الجنس والأخلاق». ومحمل رأيه كما لخصناه في كلامنا على حب امرأة من كتابنا «ساعات بين الكتب» «أنه لا ذكورة ولا أنوثة على الإطلاق وإنما هي نسب تتألف وتتخالف على مقاديرها في كل إنسان، ولا عبرة فيها بظواهر الجوارح والأعضاء، فإذا مرضا مثلا أن صفات الذكورة مائة في المائة مأين هو الرجل الذي تتم له المائة جميعها بلا زيادة ولا نقصان وتتألف ذرات تكوينه واحدة واحدة بلا نشور ولا انحراف» وكيف تحتمل له هذه الصفات المتفرقة بحيث لا تتحلف صفة ولا تحر واحدة محل أخرى؟ وكذلك النساء أين منهن المرأة التي هي مثل أعلى لجنسها جامع لكل ما هو سائى في الجمال والعقل والعاطفة والأعضاء والهدام؟ إن هذا الاتفاق لا يحىء به الواقع، لأن التمام من وراء ما يبلغه لإنسان أو كائن سواء في هذه الحياة ولكنها أمور يصعب تدخل فيها صفات لرجولة والأنوثة كما تدخل فيها صفات سائر الأشياء. فليس في الدنيا رجل هو الرجولة كلها وليس في الدنيا امرأة هي الأنوثة كلها، وهيهات أن تقع على إنسان فيه كل صفات جنسه في جميع أخلاقه وأطواره كما تقع كل يوم على قطرة ماء فيها كل صفات لمائية التي لا بد منها لتكوين كل قطرة فإن العناصر هنا مقيدة محدودة أما عناصر الطبع والأخلاق والمواهب والأجسام فمما لا يقيد أحد ولا يحده التقدير.

وعلى هذا «حب الرجل المرأة أو حب المرأة الرجل على حسب ما بينهما من التوافق والتباين في تلك العناصر والصفات. فالرجل الذي فيه ثمانون في المائة من الرجولة وعشرون في المائة من الأنوثة تتممه امرأة فيها ثمانون في المائة من الأنوثة وعشرون في المائة من الرجولة. ويحوز على هذا أن توجد امرأة ليس لها من جنسها إلا ظواهر، فتكون هي التي فيها الثمانون في المائة من الرجولة

وهي التي تبثد الرجز الذي فيه عشرون في امائة من صفات حسه ومن هنا
تبشأ الميول الشادة في الحسبين وتسبوا الطبائع عما خلقت له في سواء
التكوين. ١٠

والعلم الحديث يعرف هذه المعالم الحسبية ويعرف هذا الاختلاط في توزيعها
بين الحنسين، ولكنه يعرف ذلك على نهجه لا على نهج الشاعر في أسطوره ولا
على نهج الفيلسوف في حدسه وتقديره. وسيبتهى إلى الحقيقة الممحصنة حيثما
بدأ من البداهة الباقية ولواقع المشاهد، وهما لا يأمان له بالصلال عن سواء
النهج وإن تشعبت مسالك التامحين عليه

ومن الثقافات الراسحين في علم الحياة اثنان يعتمد على دكاتهما كما يعتمد
على تحريرتهما في هذا الموضوع وهما سير آرثور ثومسون Arthur Thomson
وسير باتريك جددس patrick Geddes صاحبا كتاب تطور الجنس
Evolution of sex وغيره من المراجع المعتمد بها في علم الحياة

فهذا العالمان الجليلان ينزلان بالعارق بين الجسبين إلى قرارة المادة الحية
التي تمثل في النبات ويوشك أن يحللا في الأبوثة شيئاً من النباتية التي تمكث
في موضعها، وفي الذكورة شيئاً من الحيوانية التي تعمق من مارتها بالحركة
ويمكن أن يتوسع في شرح رأيهما فنقول، إن التعرقة عندهما بين الأبوثة
والذكورة كالتفرقة بين التجميع والتفريق، أو بين الاختزان والاحتراق، أو بين
الاحتجار والاندماج.

وهي كل كائن حي عملاق كيميائي يتقابلان ويتكاملان، وهما البناء
والتفريق، أو جمع الغذاء وحرق ما يحتجم منه

ويتبين هذا في الورقة الخضراء التي يعرضها النبات للشمس فيحرق فيها
بناء مادة من السكر وم شبيهه، وذاك فيما يرى انعامان الحنيلان أهم عمل
كنعى في الحليفة لأن حرراً من قوة شعاع الشمس يستخدم لصنع مركبات
الكربون من ثاسي أكسيد الكربون الذي في الهواء وفي ماء التربة

ولوفرة المادة التي يبيها النبات لعدائه يستصعب أن يعتمد عليها كما يعتمد
منه اكلو العشب من جميع الاحياء

إلا أن الحي الذي يتحرك ويعمل بحرق حرراً من مركبات الكربون فيه وتنطلق
القوة منه كما تنطلق من الآلة البخارية

فالذكورة هي حالة البنية التي تتطلب حترقا أعنف وأكثر وأقرب إلى الاطراف من الأنوثة، والأنوثة هي حالة البنية التي تتطلب تجمعا للغذاء أهذا وأقرب إلى القرار من الذكورة

أو هما كما أسلفنا يفرقان بالقدرة على التحميم والقدرة على التصريف، ويفترقان بفزعة الاحتجان ونزعة الاندفاع، ولذا أن يترجمها في لغة الأدب والواقع المشاهد بالتهركة بين التلييه والالتحام

وكأما قال العالمان إن الرجل حي النزعة في مجمل صفاته وإن المرأة نباتية النزعة في مجمل صفاتها

وهي هي لا ترال منذ درجت من الحياة الأولى «تلك الشجرة» التي تبسط زهرتها وهي في مكابها لتتلقى فيها اللقاح على حياح الهواء

وكل بنية حية فيها النزعتان متقابلتين متكافئتين بحيث زادت القدرة على التحميم فتم أنوثة ولو حملت غير اسمها، وحيث زادت القدرة على التصريف فتم ذكورة ولو حملت غير اسمها. وعود على بدء إذن إلى أسطورة الرب السكران

* * *

وأيضا كان تحليل العلم لنشأة لغوارق احسية في قراره فالعلماء المحدثون لمعيون بمسائل الحس يرجعون بالاختلاف بين مزاج الذكورة ومزاج الأنوثة في جسدي الرجل والمرأة إلى الهرمون الذي تعرزه الغدد الصماء، وهو سائل شفاف يسري في الجسم من غدد ثلاث توحد في أجسام لأحياء الفقارية، إحداها الغدة الدرقية في الحلق، والثانية الغدة المخامية في أسفل الدماغ، والثالثة الغدة الكظرية على مقربة من الكليتين، وهي عظيمة الأثر فيما يشاهد من الاختلاف بين أجسام الذكور والإناث بعد سن البلوغ، وحتى تشخصت الذكورة والأنوثة ظهر الفارق الأكبر في تركيب الخصية وتركيب المبيض واختص الرجل بإفراز المنى واختصت المرأة بإفراز البويضات

ومن التحارب في بعض الحيوان كالخردان يلاحظ أن استئصال الغدة المنوية يعمل بالحيوان إلى مزاج الأنوثة، ولكنه إذا استئصل منه المبيض لا يستعير مزاج الذكورة إلا بإضافة الغدة المنوية إليه

وقد يتفق أن يكون في الإنسان خصية ومبيض بدلا من الخصيتين، فيسري في جسده إفرازان يعين به أحدهما إلى الذكورة ويميل به الآخر إلى الأنوثة، ومشاهد

في مثل هذا الإنسان أحياناً مشابه من المرأة في الصدر وبعض الأعضاء الداخلية على أن الحيوانات الدنيا تتناوب الذكورة والأبوة كما في بعض لحالات الباردة فتكون المحارة البالغة بكراً ثم تنقلب أنثى ثم تعود ذكراً مرة أخرى وهي لا تلد البويضات إلا إذا ارتفعت الحرارة حولها إلى درجة معلومة ففي الدرجة من عشرين إلى اثنين وعشرين تنقلب المحارة أنثى مرة في كل سنة، وهي اندرجه الاربعة عشرة إلى السادسة عشرة تنقلب أنثى مرة كل ثلاث سنوات أو أربع سنوات، ولا تنقلب أنثى فيما بين هذه الدرجة على الإطلاق.

وتشاهد هذه الظاهرة في بعض الأسماك الصغرى وبعض الحشرات المائية، فيحدث فيها التحول على نحو يشبه التحول في العنكبوت، ولا يشترط فيه تفاوت الحرارة بذلك المقدار.

والغوارق بين الجنسين تتقارب كلما هبط الحيوان في سلم الخلق حتى ترول الغوارق جميعاً هي الخلية الأولى، ولكنها تنقسم وتتعدد ويصبح التحول بينهما قلقة من قلقات الغوارق كلما ارتقى الحيوان في سلم الخلق، حتى تبلغ هذه الغوارق قصاراتها من التنوع والتكاثر في بيئة الإنسان.

* * *

ومع هذا يوجد الفارق بين الخلايا المنوية والخلايا البويضات محسوساً مميّزاً لمن يكشفه بالمجهر، فتختلف الخلية المنوية من الخلية البويضات بالحركة والشكل والتركيب.

والخلايا المنوية هي الحيوانات اللبونة هي التي تقرر جنس الجنين ذكراً يكون أو أنثى. لأن الذكر يعرر نوعين من الخلايا أحدهما شبه حبة الأنثى والآخر خاص بالذكورة لا يشبه البويضات الأنثوية فإذا امتزجت عند البعاج خليتان متشابهتان فالمولود أنثى وإذا امتزجت خليتان مختلفتان فالمولود ذكر لأن الخلية المختلفة هي التي تعطيه صفة الذكورة، وقد لوحظ أن خلية الذكر تتألف على الأكثر من نواة تميل إلى الحركة وتقل فيها المادة الغذائية الأخرى التي تكثر في الخلية الأنثوية وتقل مادة النواة الاصطناع فيسهل تمييزها بألوانها، ولذلك سميت في اللغات الأوربية Chromosomes نسبة إلى الصبغ والتلويح.

وفي كل خلية عدد من هذه الصبغيات يتساوى في خلايا النوع كله أقله صبغيان اثنين كما في الدودة الخيطية التي تعلق بالخيول، وأكثر ما شوهد منه في

خلية الإنسان حيث يبلغ عدد الصبغيات ثمانية وأربعين ولكن هذا العدد ليس بالمهم في ادلالة على ارتقاء النوع لأن بعض الحشرات الحلوونية تشمل خلاياها على مثل هذا العدد.

انما المهم أن عدد الصبغيات بعينه يتكرر في كل خلية من خلايا الجسم كله، وأن الخلعة المنوية تشتمل على نصفه فقط وكذلك الخلية البويضية، كأنما الملحوظ من البداية أن النصفين يكونان خلية واحدة هي اسي يتخلق منها الجنين.

ومن عجائب الاختلاف العريق بين خصائص الذكورة وخصائص الأنوثة أن عدد هذه الصبغيات في خلية الذكر سبعة وأربعون وفي خلية الأنثى ثمانية وأربعون والذي يحدث عند انفاج أن خلية الذكر تنقسم نصفين وخلية الأنثى تنقسم نصفين ثم يتقاسم نصف من هذه ونصف من تلك فإذا كاسا عند الامتزاج يؤلفان ثمانية وأربعين، فالمولود الذي يتخلق من هذه الخلية أنثى، وإذا كاسا يؤلفان سبعة وأربعين فالمولود الذي يتخلق من الخلية ذكر وكأما البواه الكثيره الحركه هي العوض في خلية الذكر من الصبغى الساعص فيها

ما أعجب بداهة لأساطير في اسفاد إلى حقائق الحياة

ففي الأسطوره التي أشرفا إليها رعموا أن الذكر والأنثى كاسا في النوع الإنسانى بنية واحدة فأوحست الالهة منهما متحدين متفقين فشطرنهما شطرين. وهما منذ تلك اللحظة يبحث كل منهما عن النصف الآخر ليتم به نقصه ويحد به لعقه الذي يسكن إليه

وتلك هي الحقيقة في ظلمات الرحم نشطر الذكر والأنثى نصفين ثم نطلق كلا منهما يبحث عن لعقه حتى يسكن إليه ثم تطعهم بعد ذلك نصفين في كل منهما حين إلى النصف الآخر يبحث عنه حتى يلقاه.

* * *

خلاصة هذا جميعه أن ادخس حدود انوارق منداخلية لاولى، وأن هذه القوارق - كأنها ما كان اسمها - ترجع إلى مارق واحد يلخصها بأجمعها، وهو مرید من الإقدام في جانب الذكوره ومرید من الإهجام في جانب الأنوثة، أو مرید من الإراده يقابله مرید من التلبیه أو مرید من التصرف والحركة يقابله مرید من انتحميم والدعة ثم يتفرق هذا المارق الوحيد على مذات من الصور في كل من الخصيين.

والباحثون المعنيون بالجنس يسجلون درجات من الفوارق بين الرجل والمرأة تتفاوت في الظهور بين ما هو ظاهر من اللحظة الأولى إلى ما يظهر بعد كثير من البحث أو قليل وأشهر من تكلم في هذه الفوارق الباحث الإنجليزى Havelock Ellis في كتبه الكثيرة وبخاصة كتابه «الرجل والمرأة ودراسة الخصائص الثانية والثالثة بينهما»

Man and woman, A Study of Secondary and Tertiary sexual characters

وهو كتاب جامع تناول فيه الفوارق التي تبدو من المشاهد والفوارق التي تبدو بعد الفحص والتحليل في كل جزء من أجزاء البنية الإنسانية فاستقصى ذلك أحسن استقصاء مما يضيق بهذا المقام هنا لو شرحناه أو لخصناه

ولكننا نلم بالفوارق الذهنية أو الفوارق النفسية العامة فتحتزئ منها ببعض الملاحظات التي تدل على سائرهما.

نعمها - وهذه أهمها - أن النساء الموسومات بالعيقرية لم يبدفن مستقلات بأنفسهن أو بمعزل عن رجل يعتمدن عليه فمدام كورى أشهر النابات في ميدان العلم كانت زوجة رجل من كبار العلماء شاركها أو تشاركه في بحوثها وآرائها ومسن بروننج الشاعرة الإنجليزية نظمت أحمل قصائدها وهي زوجة للشاعر روبرت بروننج. وجرج إليوت كتبت أفضل رواياتها وهي في عشرة لويس صديقها المأثور لديها... واليدي ديك Dilke كتبت في الدراسة العلمية حين كانت زوجة للعالم الأديب مارك باتيسون Pattison وكتبت في السياسة والإدارة حين أصبحت زوجة رجل من رجال السياسة والإدارة

وأشار هافلوك إليس إلى تجارب الباحثين بأبناء القارة الأوربية فيما بين الرجل والمرأة من الفوارق لذهنية والنفسية، فكانت خلاصتها أن المرأة مطبوعة على الوصول إلى النتائج بالحيلة والتحسس وخفة التناول والتنفيذ، وأن الرجل يقابل ذلك بالاتجاه الصريح والنفاد والتصميم.

وممن درس هذا الموضوع على الطريقة العلمية الأستاذ إرنست كريتشمير أساذ الأمراض النفسية والعصبية بجامعة ماربورج Ernst Kretschmer، فألمع في كتابه «نفسيات العبقرة» إلى النساء اللاتى اشغفن بالصور ولعن رسالة موبياس Mobius الذى خص القول بالموسيقىات لأن المرأة لم تعطل قط عن تعلم الموسيقى والعزف على الآتها قال ومع هذا لم يبق من أسماء نابغات الموسيقى

إلا الأسماء التي كانت تتصل ببعض الرجال كاسم كلارا شومان زوجة شومان
الموسيقي العالمي المعروف، وفاني مبدلسن أخت مبدلسن وكورون شروتر
صديقة حيتي، وغيرهن على هذا المنوال.

وذكر الشاعرة الألمانية فون درست هلشوف

Anette von droste Hulshoff

فقال إنها كانت أقرب إلى انرحولة في مزاجها وكلامها، وكانت تتربى بأزباء
الرجال وتتمنى في بعض شعرها لو كانت صياداً منطلقاً بالعراء أو جندياً مقاتلاً
أو رجلاً على الأقدس. ولم تنظم قط في عواطف الأمومة أو وصف الطفولة أو حنين
المرأة إلى الحب والألفة وما شابه ذلك من معارض الشعر التي يكلف بها النساء،
وأضاف إلى ذلك أن هذا النزوع إلى التشبه بالرجال والتربى بأزيائهم مشهود
مطرد في نساء التاريخ المشهورات مثل أليصابات ملكة إنكلترا وكاترين قيصرية
الروس وكريستين ملكة السويد. فهن ينعن في اقتدارهن على بعض أعمال
الرجال بمقدار ما ينقص فيهن من صفات الأنوثة، لا بمقدار ما يريد ويقص عن
الحاجة إليه

• • •

وأسلم ما يقال في هذا الباب ولا يعيل الخلاف عليه أن فاضل الجنس موجود،
وأن هناك صفات ذكورة وصفات أنثى لا التباس بينها حين تتغيرل ونمادى إلى
طرفيها. ومن خير بنى الإنسان أن يصار لهم هذا التنوع في الصفات على
اختلاف ألوانها وملائها وبرحاتها وطبقاتها. لأن التنوع زيادة في ثروة
الإحساس وزيادة في ثروة الحياة وزيادة في الأعمال التي تستطيع في كل حالة
من هذه الأحوال، وترتقى إلى غايتها من الإتقان كما يرتقى كل شيء إلى غايته
بالخصيص وتنوع العمل فيه

وأن الجنس لم يخلق ليؤول ويتشابه الجنس.

ولكنه خلق ليبقى ويتعاون جاباه على إنماء حياة الإنسان.

الحُبُّ

برأى مرة أخرى أمام تضليل اللغة لنا عن فهم الحقيقة أو أمام جنائية الأسماء على المدارك الإنسانية

فالأسماء قد حصرت المعاني فأفادت؛ لأنها جمعتها من القوصى والشتات. وحصرتها فأضرت، لأن المعاني أوسع من أن تقبل الحصر ولكل منها حالات مثلها لا تحصى ومن هذه الأسماء اسم «الحب» لذلك العالم الزاخر الذى لا نهاية لمعانيه فهو اسم واحد ولكنه ليس بشيء واحد.

ويمض من أجل هذا عن حقيقته كل من ينظر شيئاً واحداً حين ينظر إليه لأنه على أية حال ليس بشيء واحد موجر المعاني كلفظه الوحيد الذى يدل عليه

* * *

فى كل حب بين رجل وامرأة شيء من حاسة الحمال وشيء من الأنثى وحب الاحتياج، وشيء من الغريزة النوعية والخصائص الجنسية وشيء من الرغبة فى المتعة الحسية والنفسية، وشيء من التحميل وزخرفة الخيال والتطلع إلى المثل الأعلى، وشيء من الألفة التى تعجب إلى كل صألوف أو توحش من بعده والمعيشة يدونه، وشيء من الخوف والقلق والرجاء والحلمة والمحاولة وكل ما يدور فى سريرة الإنسان حول تلك العناصر التى تشتمل عليها تلك الكلمة الصغيرة ذات الحرفين الاثنين.

وهذه الخصائص توجد فى حب الرجل والمرأة وتوجد فى غيره من العلاقات فالإنسان يألف المرأة التى أحبها ويألف الوطن الذى أطل الإقامة فيه ويلجأ إلى التحميل وزخرفة الخيال إذا فتن بالعظمة والبوع كما يلجأ إلى التحميل وزخرفة الخيال إذا فتن بالمعشوقة الصناء.

ويروقه الجوهر النفيس فيتحنى أن يملكه ويستأثر به دون غيره، وكذلك يفعل حين يروقه جمال المرأة التى يهواها.

ويحس الغريزة النوعية حين يحب ولا يحب، وتنبقظ فيه الخصائص الجنسية وهو بعيد من للمرأة أو قريب منها.

ويسمى بحاسة الجمال وهو ينظر إلى الشفق وإلى الرياحه وإلى الصورة وإلى النمل.

فهى عناصر تتفرق فى الدنيا وتتجمع فى عاطفة الحب كم تتجمع العناصر القليلة فى صور لا تقبل الحصر ولا تحدّها الأسماء

ومن الأمثلة التى تقرب لنا هذه الحقيقة أن عناصر المائة تعد بالعشرات، ولكن الصور التى دراهما فى هذا العالم ترمى على الألوف ولوف الألوف.

وإن حروف الهجاء لا تتم العشرات انثلاث ومنها الكلعات التى تصيق بها المجلدات فى جميع اللغات.

فلا نهاية لألوان الحب لى تتجمع من تلك العناصر القليلة، لأنها تتباين فى الترتيب، وتتباين فى القوة، وتتباين فى المقادير، وتتباين أبعد التباين على حسب المحبين، وعلى حسب الأعمار والأصوار النفسية فى المحب الواحد

ولا وجه للمقابلة بينها، كما لا وجه للمقابلة بين كلام وكلام، لأنهما مركبان من حروف متشابهة، فحب هذا الإنسان لا يشبه حب داك الإنسان، وما يشاهد من محب فى عصفوان هواء لا يترجم على وجه من الوحوش أن يشاهد من سائر المحبين إنما العنصر الذى لا تخطر منه عاطفة الحب بالغة ما بلغت ألوانه ودوعيه هو نصير شخصية بين سائر أفراد الجنس حيث لا يوجد رحى مشير بين الرجال وامرأة مميزة بين النساء فلا حب ولا علاقة ولكنها شهوة كشهوة الصغار يشبعها كل عداء، ولذة كلذة الجنس من مقام اللص والسمع والرؤية ولو فى جماد

ولا يزال الأمر فى حدود الاستحسان والروعة والرغبة فى الحب حتى تمتر بين أفراد الجنس شخصية لا تعنى عنها شخصية أخرى وإن شاركتها فى محمل صفاتها أو رادت عليها فى محاسنها فإذا امتازت هذه «الشخصية» فذلك هو الحب وذلك هو الغرم. وهى اسمه بالعربية شرح لأطواره وشروطه وأولها الألفة والحاجة والعكوف وقد يولد الحب من النظرة الأولى

ولكنه ينمو بعد ذلك - لا محالة - حتى يستوفى نموه بعد التمييز والألفة والافتنان فى صور الخيال.

وإنما يولد الحب من نظرة واحدة إذا استولى بتلك النظرة على حاسة الجمال أو أثار الغريزة أو أذكى حممة العيرة والشوق إلى الحبازة والاحتجاب، ولكنه لا يكون أقوى الحب حتماً لأنه ولد على عجل أو حاش فى النفس قويا من نظرة واحدة فربما أبطأ الحب وسرى فى الصمير غير محسوس به ولا ملتفت إليه، ثم يشعر به المحب يوماً فإذا هو أقوى من كل حب تبيره المقاحاة وتعص به النظرة الخاطئة

وربما الحب في ذلك كدأب الخواج لإسانية في أطوار السرعة والروال وأطوار
الأناء والبقاء

وقد يلتقي الرجل بالمرأة فيعرض عنها ويفر منها، ثم يلتقي بها في حالة
غير تلك الحالة فيألفها ويتعشقا ويصمد على هواها، لأن المعون في هذه
الحالات على الابتداء وتسسل البواعث الأخرى فإذا حسنت البداء تبعتها
البواعث التالية في سق مقبول حتى تبلغ مداها

ولو كان الحب شيئاً واحداً لما اختلف وقعه بين نظرة وبصرة وبين مقابلة
ومقابلة وبين الرجس في أوبة من الرمن ولرجل نفسه في غير تلك الآونة

هو في عاصره كألون لصف الشمس لا تنطبق على عده أصابع اليدين، ولا تكفي
أرقام الحساب كلها لإحصاء ما يتألف منها ويتفرع عليها من الطلال والشيت والأصباغ
ولهذا لا يسأل عنه سؤالا عن خصلة واحدة أو خصال محدودة كما لا تسأل
عن الألوان والأصباغ على هذا الأسلوب.

فمن صيق النظر إلى حب أن يقول قائل: إنه ينطفيء بالاتصال بين الجسدين،
أو إنه يستلزم الاتصال ولا يدكو بغيره

ومن ضيق النظر أن يقارن إن الحب يكون عذرياً أو لا يكون، أو يستدل عليه
بهذه الصلة ولا يستدل عليه بصلة سواها.

لأن الحب قد وجد بين الجسدين قبل أن توجد الأواصر الاجتماعية التي تحرم
الاتصال بين الرجل والمرأة بغير عقد مشروع

فإذا سئ عن الحب العذري فليس السؤال: هل يوجد أو لا يوجد، وهو هو مشروط
في طبيعة الحب أو غير مشروط فيها؟ وما لسؤال هل المحيان قد غلبت عليهما
برعه العطرة، أو غلبت عليهما آداب الجماعة أو أوامر الدين؟ وقد يستتبع هذا السؤال
سؤالا ثانياً وهو هل حمحت العريزه بصاحبها، أو لا تزال هي قبضة العيان التي
يقدر عليها لأقرباء، أو يقدر عليها بعض الضعفاء إذا هي أمر الجماع؟

وعلى هذا يوجد الحب العذري ولا يوجد، ويعهد في بيئة ولا يعهد في بيئة
غيرها ولا معو أن يكون لونا من ألوان الحب يستطاع في علاقات وتقوى به
الطاقة في غيرها من العلاقات.

وكذلك السؤال عن الحب، هل هو سعادة أو هو شقاء؟ مقصاري القول فيه أنه هو
حب سواء فلت حب شقى أو حب سعيد. فإذا اتفقت جوانبه الكثيرة فهو أقرب إلى

السعادة وإن كان لا يستغنى عن قلق يغلبه ويعيد الأمن به والسكون إليه بعد المخافة عليه وإذا افترقت جوانبه الكثيرة فهو أقرب إلى الشقاء، وإن كان هذا الشقاء لا يخلو من دواعي الإعزاز والإعزاز لأنه هو التكاليف التي تقوم بها قيم الشعور ولكنه لكثرة عناصره أقرب إلى الشقاء منه إلى السعادة، لأنه عرصه لافتراق الهوى في النفس الواحدة حين تتناقض الرغبة والكرامة أو تتناقض أسباب اللفة وأسباب النفور، وعرصه لافتراق الهوى بين نفسين اثنتين لا تروى الحواجز بينهما كل الروال وإن أفرطا في المودة والوفاء، وعرصه لافتراق الهوى بين تيبك النفس وبين ابينها التي يعيشان معها، وعرصه لافتراق الهوى من تقادم العهد وبين الإحساس وتحدد العلاقات التي يتعرض لها كل هؤلاء.

وإن كان له هذا الشأن الأكبر بين العواطف الإنسانية، لأنه هو العاطفة التي تنفذ إلى جميع العواطف والتحرية التي تمتحن بها النفس في جميع طوائفها، والشعور الذي تنأهز له بيتار وصريتان بكل ما أودع فيهما من نوازع الجسد العريضة في أعماق حذور الحياة من الخلية الأولى إلى فطرة الإنسان

ولا يقال إن امرءاً عرف نفسه وسير أغوار ضميره ما لم يسبرها في هذه العطفة مرات، لأنها لا تتعلل إلى أنحاء الضمير جميعاً من نوبة واحدة ولا تزال لكل نوبة رسالتها التي تحملها إلى قرار في أغوار الضمير لم يكن بالمعروف ولا بالميسور وقد تطلع المرء على أخس ما فيه كما تطلعه على أبل ما فيه

وهي بوتقة لا نظير لها، وهي بوتقة تدخلها مخادع لا تحصى، وقد يدخلها المعدن ذهباً تارة وقصديراً تارة أخرى، على حسب الشخصيتين، وعلى حسب النوازع التي تثار في العلاقة بين تيبك الشخصيتين

ولا يلزم أن تكون الصفة في إحدى الشخصيتين ضعة في العاطفة وتعبيراتها، لأن هذه الصفة قد تحيي في النفس مفاعلتها وتستجيب محاسن العطف والرحمة فيها، كما تحيي الجرثومة مناعة البنية التي تداخلها وتستنفذ حراسها وحماياتها وعلى هذا النحو لا يلزم أن تكون الرفعة في إحدى الشخصيتين رفعة في العاطفة نفسها، فمن الرفعة ما تلقاه النفس بالإعجاب ولا تلقاه بالعطش الثائرة التي ترحبها وترلزلها وتستخلص منها دحيرتها وكوامن قواها

إنما هو تماسع بين شخصين. وكثيراً ما يتفق في العواطف البشرية كما يتفق في الكيمياء أن يكون للمادة الخسيسة محل سعيد وأثر بعيد في المادة التي تعالها، ولا بد من التماسع بين النقاكن والمثالبات في بوتقة النفس وهي بوتقة لكيمياء

معاملة المرأة

إذا كانت هذه هي المرأة في حملة صفائها ومراياها وبقائتها وحقوقها فكيف معاملتها؟ أو كيف تهتدى بمحرم هذه الآراء والمشاهدات في معاملتها؟

ولا ينصرف هذا السؤال إلى معاملة المرأة في الأندية ومجالس البيوت والمحافل العامة، لأن هذه المعاملة تحرى على سعة المجاملة التي تفرضها آداب كل أمة، وتجرى على سعة المرسوم التي يرفعها من يدين بها ويتقيد بعرفها ويكرها.

وهو أيضاً لا ينصرف إلى معاملة المرأة في القوانين والدساتير، لأن جميع القوانين والدساتير سواء ما لم تدرك المرأة عن حوزتها الأولى ومريضتها العليا، وهي الإسراف على مملكة البيت وعلى تنشئة الحيل المقبل وصيانة الأسرة.

إنما ينصرف السؤال إلى «المرأة الطبيعية» لا سيدة الثاري ولا عضو المجتمع ولا صاحبة الحقوق في القانون والدستور.

وأوحى ما يقال في جواب السؤال على هذا المعنى أن الرجل الذي يحسن معاملة «المرأة الطبيعية» هو الرجل الذي يشغل إحساسها، وأن الذي يشغل إحساسها ولو بالسخط والعصب والإثارة أقرب إليها ممن يتركها هائرة النفس لا تغضب ولا ترضى ولا تميل ولا تنفر ولا تشكر ولا تعطوى على حقد أو موعدة.

وقد شوهد نساء كن يحسبن من السعيدات امتنعات لأن أزواجهن كانوا يصدقن عليهن البعثة ويتأدبون عاية الأدب في خطابهن ولا يرالون معهن على ديدن الكيسة في الخلوة والاحتتماع كأنهم يعيشون معهن الدهر على ملا من نبلاء القرون الوسطى! فلم تنقص عليهن مدة حتى ملبن الطلاق وألحقن في طلبه، وذهبن إلى أروج يمزجون الرضا بالغضب واللين بالخشوبة، فأخلدن إلى العيش معهم وأثريه على تلك المجاملات التي لا انقطاع لها في خلوه ولا اجتماع

وشوهد نساء يشكون بين الحد والمزاح أن أزواجهن يسرعون إلى استجابة كل إشارة لهن، وبحار كل رغبة من رغباتهن، وسمعت من هؤلاء النساء من تقول بوى لو يخالفني يوم فيأبى أن يذهب إلى دور الصور المتحركة حين اقترح عليه الذهاب إليها، وبوى حين يقبل الذهاب أن يخالفني ولو في اختيار الدار التي أدعوه إليها

وفى هذه الأسنة من جد أكثر مما فيها من مزاج.

لأن المرأة تستريح إلى الشعور «بالحماية» وتنوط بهذا الشعور طمأنيتها وتساعد إليه ضعفها، وهي لا يخلص لها الشعور بالحماية إذا انطلقت بغير وارع يجمعها بعض المنع ويردها إلى الطاعة من حين إلى حين، وقد تخالف الرجل فتساعد بالحاح في المخالعة ولكنها تشيع هذا المحاح بالندم وتود لو حبطت مخالفتها وتغوضت منها الشعور بالقوة التي تردّها إلى طاعتها.

وشغل الإحساس ضرورة للمرأة لا محيص لها عنها أو صربية مفروضة عليها لا نجاة لها منها وكفى من بواعثها إلى شغل إحساسها أنها تمتحن في كل دورة قمرية بثررة لا تكبحها أو بهمود لا ينفذها منه إلا ثورة تلعبها وتحرك رواكدها، وأنه مع هذا لسبب غارص يراء على السبب الدائم الذي جعل حياتها منوطة بالموثرات الحاصرة غير جاهلة بما يعقبها.

ومن المتواتر في أقوال بعض الرجال من عشاء النساء الطبيعيات أن المرأة تحب الرجل الذي يضربها ويهينها، وتؤثره على الرحن الذي يكرمها ولا يرل يقرضها.

وقد يكون في هذا القول تقديم وتأخير تقديم للضرب والإهانة على الحب، وأجربى أن يتقدم الحب على الضرب والإهانة فإن المرأة تقبلهما ممن تحبه لقراد شعورا بحبه وغلو نيمته لديها، وقد يصرها أن تعلم كيف أصبحت أثيرة عند الرجل حتى أثارته غيرة عليها أو اهتماما بشأنها لأن قلة الاكتراث هي أخوف ما تخافه من الرجل ائدى يعيها.

ولكن التقديم والتأخير في ذلك القول لا يجردانه من الصدق الذي تعرف به علة معقولة. فإن المرأة يلذ لها الخضوع إذا وجدت من يخصصها لأنه يحقق لها أثويتها بين يدي العحولة العالبة عليها، وإسها ليلذ لها الألم أحيانا لأن الألم مقترن بأحب النوطائف إلى طبيعتها وهي طبيعة الأمومة ومتى لد لها النصوص والألم فلا عجب أن يلذ لها الصرب والهوان ممن يعيها.

ويشبه هذا القول أن المرأة تعرض عن يقبل عليها وتقبل على من يعرض عنها لأن المرأة تتهم نفسها إذا أعرض عنها الرجل فلا يهدأ بالها حتى تدفع عنها التهمة وتسترد إليها الثقة بفتحتها وعوايتها وقد تشعر أنها بلغت من الرجل كل ما توده إذا هي أصبحت منه الإعجاب بها، فلا حاحة بها إلى الميلالة به لأنها

عرفت قيمتها لديه إلا أن يكون الرجل قد أعجبها فهي تتخذ من إعجابه بها وسيلة إلى استبقائه في أثرها

وذاك الذي يصدق على المرأة في هذه الخلقة يصدق على كل ضعيف يلتصق قسمه في نظرات الناس إليه. فإنه لنقص وينتعالى إذا لمح المبالاة به . وإنه ليخضع ويتردد إذا لمح الإعراض عنه . ومهما تكن المرأة جميلة هاتمة فهي تنهم حصالها وهتنتها إذا عجزت عن غزو رحر من الرجال بهما، ويقع في خاطرها على الأثر أنه يهملها، لأنه يعرف من النساء من هي أجمل وأفتن، فيكون رصاه أحب إليها من رضا المعجبين بها والحائمين حولها.

ومن المحقق أن المرأة لا تصنع براحة ولا سعة ولا كرامة في سبيل الرجل الذي تتبعل له تبعل الأنسى لعملها وقد تأتلف من معاشرة الصرة مع رجل لا يملكها بفحولة طبعه ومقدرة أسره، ولكنها تبعل معاشرة الصرات طسعة راضية إذا صادفها الرجل الذي يملكها بفحولة طاعية على مشيتها، وتسرها يومئذ ساعة الخطوة لديه بين صراتها كأنها نعمة منقزعة من السماء، تظل تحلم بها وكأنها لا تصل إليها إلا أن يسعدا الحظ عند مالكا ومولاها

وقد تقول «سيدة النادي» غير ذلك بلسانها، ولكنها لا تقول غير ذلك لا بلسانها ولا يقلبها إذا حلت فيها «المرأة الطبيعية» محل السيدة الاحتشاعية وإنما تحل فيها هذه «المرأة الطبيعية» محل سيدة النادي بين يدي «الرجل الطبيعي» الذي يفتد بها من شعائر العرف المصطنع إلى ما وراءها

والمرأة بعد لا تتطلع من الرجل إلى شعور أحب إلها من شعور الحمايه المحبطة بها والقوة الغالبة عليها ولهذا يرضيها أن يعترج بمعاملتها شيء من معاملة الطفلة المدلة ولو من ابنها وأخيها فأحب الرجال إلى المرأة هو الرجل الذي تسكن إليه طفلة مطمئنة تقبل حنانته وتحاف غصبه وتتوخى رضاه ولا تأنف من تأنيبه وتعذيبه

تلك هي حواء في قرارة الوقائع والآراء لا تتبدل حتى تتبدل الأرض والسماء

من كتب المؤلف

للمؤلف في كتبه ومعالاته آراء عن المرأة والجنس بعضها موجز عارض وبعضها مطول موقوف على هذا الموضوع وحيما نرى من منها تمت إلى فصول هذا الكتاب ونجد في مكانها إلى جانب بحوثه وتعليقاته وقد تفيد في تدب جوانبها كما تمثلت للمؤلف في أزمنة مختلفة

وتنوع في اقتباسها الإخبار من الإسهاب

• • •

النساء أسرع نقلياً لأنهن أشد عيرة. وهن أشد غيرة لأن المشاكل بينهما في العناقب والمفاخر أقرب مما هي بين الرجال

«خلاصة اليومية - ١٩٩٢»

• • •

لا ينبغي أن يقتصر الغرض من تربية البنت على تعليمها كيف تكون روجة إلا إذا كما يعلم الفتى في المدارس ليكون روحاً والواجب أن يعنى أولاً بتعليمها ما تنشأ به امرأة قادرة على النهوض بنصف أعباء الهيئة الاجتماعية. فإن العشرة الروحانية ليست حرفة يتلقى الطالب أسرارها في دور التعليم، ولكنها عمل كسائر أعمال الحياة يحسنه الإنسان أو لا يحسنه بمقدار ماله من الحدق والاختيار

«خلاصة اليومية»

المرأة أطف ركة وأقطن إلى تشابه الملامح من الرجل. فقد رأيت بعض النساء يرين الطن الصغير قبل أن تشخص ملامحه فيحكمن بأنه من ال فلان وأن فيه شبه العذلة العلامية ، وقد لا يجدو بينهما أدنى شبه والظاهر أن كثرة اشتغالهن بتحميل الملامح قد أكسبهن هذه الخبرة فيها

«خلاصة اليومية»

إنما رأينا في الرجن هو رأي الرجل في نفسه ولهذا كان أكثر الرجال توهيقاً عند النساء أشدهم اعتزازاً ورهواً حتى لقد وجدت المرأة ترى الجمال فيمن يراه لنفسه. وإن كان الجمال من الأشياء المحسنة بالبحر

«الإنسان الثاني - ١٩٩٢»

هي المرأة من خلاق الطفل غيرته المضحكة ومزقه السريع واستغرائه في لحاصر الذي بين يديه وقصور نظره على الظواهر والقشور، ومرحه وعرارته ويعوره مما بهم ويصلح، ومحاكاته كل ما يراه، وتعويله في أموره على سواء، وتقلبه وكذبه، وريؤه وأثرته رولعه باستطلاع المعصمات والأسرار، وحشعه وطمعه وموجدته وافتقانه بالتداء والإطراء.

«الإنسان الثاني - ١٩١٢»

• • •

شغلها اليوم كمثلها قبل التاريخ، فما تزال صارفة كل عنايتها إلى تزيين ظاهرها وتحسين هدامها ووسائل إعجاب الرجب بها، ولا يزال لها وبع الهمجي مخوره وريشه الطويل وشعفه بالألوان المبهجة الزاهية والصور البراقة الخالصة وما أفادها تقدم العمران وتدرج العصور إلا أنها جھت الطلاء مكان الوشم، والجواهر في موضع السبج، وثقوب الأقراط بعد ثقوب البري أو عطور الرياحين والأرهار بدلا من دخان البد والعود مع شيء يسير من التهديد كأن لا صدوحة لها عن اقتباسه من الرجل في عشرة الدار التي تجمع بيدهما على تباين الأفكار وتباعد الأوصار

«الإنسان الثاني - ١٩١٢»

• • •

ليس إلا غرورا كغرور بنت حواء يرين لها أن تقول للرجل أنا ربة الحمال وصاحبة القوة فوق الحمال اسعى سعيك وأدأب أدبك وليس هذا كل ما عندي بل إنك لتعمل ولا عائق لك يثنيك عما أنت أخذ فيه أما أنا فأعمل كما تعمل في حين أبهص بأعباء الحمل والوضع والحساب والتربية فأعالب عاملتي التعب والألم وأنت تدرء بواحد منهما، ولا أراي قابعة بأمر أكون مثلك فبني لأصلب منك عودا وأشد جلدًا، وأجمل منظرا وأحد ذكاء.

«الإنسان الثاني - ١٩١٢»

هذا المجتمع معركة صروس. والنساء فيه أسيات خروجه وصامدات كلومه رجاءرات كسوره فكيف به وقد طرح آسياته لمراهم، واللعاثف وتبدلن منهما الخناجر والقذائف، ثم بررن للنضال بين المعتناضلين. أعوذ بالله : إن المجتمع ليكون ساعته كانه قطيع من اسناب قد أضراء الحوج والسعار فاسحت عاويًا

عادياً يتخطف كل من حسه الكلال فوقع من بينه معي في بعض الطريق

«الإنسان الثاني ١٩١٢»

• • •

لو قام الرجل فادعى أنه يستطيع أن يراحم المرأة في الولادة والرضاع لقام في وجهه كذب من تركيب الجسم ونظام أجهزته وأعضائه أما صفات الرحولة التي قدمناها فليس لها جهاز خاص ظاهر للنظر أو لعلم التشريح لذلك ظفت المرأة أن ادعاءها الحرم وسعة العقل وقوة الطبع أيسر عليها من ادعاء الرجل الاستعداد للحمل والرضاع مع أن الأمرين بمنزلة واحدة من الصعوبة والاستحالة وكل ما بينهما من الاختلاف أن مزية المرأة في التركيب الحسني ظاهرة للحس، وأن مزية الرجل لم تظهر في شكل خصوصية جسمانية على أن هذا لا ينفى أن آثار هذه الخصوصية تظهر في أعمال الرجل ومراميه ولن تظهر أعيانها في أعضائه وجوارحه

«مجمع الأحياء - ١٩١٦»

• • •

أيتها المرأة ! كأنك قلت منذ هذنية متباهية أنا أحمل من الرجل نعم أنت أجمل من الرجل في عين الرجل، أما في عين أختك فأقبح رجل أجمل منك وأحب إليها. ولو كنت تمثل المرأة حسناً وحيوراً الحمة شباباً فلا تظني أنك كنت تتحلين بهذه الحلية لو لم يرها الرجل بك أيى حمالك الأنثوى هو الثوب الذي أعجب الرجل أن يراه على جسده قد ألبسك إياه فلبسه؟ وهل أنت التي تحبين هذا الحمار لنفسك أو هو الذي يحبه لنفسه؟ وهل كنت تدين سمه على وجهك ورواءه على أعضائك أو هو كان يراه فيختار منه ما يحلو به فيبقى عليك ويرهد فيما لا يلائمه فيزول منك؟

أيتها المرأة لا تقفي بثوب العرس تقولين للرجل إن ثوبي أفضل من ثوبك فإنه هو الذي أهده إليك ولو لم يعجبه لما أعجبك.

«مجمع الأحياء - ١٩١٦»

الحق أن المرأة ليس بأسلم حائلاً من الرجل كما تقول، لأنها أميل منه إلى الشجاء والشجار وربما اتفق سائتة رجل على الخطب المتعاقم العصيم ولم تنفق امرأتان على الهنة الواهنة الطفيفة وقد أعماهها عن أن تكون مجرمة بنفسها أنها

تحرم بيد غيرها. لأن أكثر الجرائم إما يقع بسببها ولأجلها فهي تدرك ما تشاء من الحرية دور أن تحتسب تبعاتها

«مجمع الأحياء - ١٩١٦»

* * *

إن المرأة ما برحت أبعد عن أوضاع المدنية ومروصها من الرجل إن المرأة كما يعلم الخبيرون تؤمن على كبتها وقد لا تؤمن على يبتها. لأنها لا تبالي من أي الرجال تلد بعاتها. ولكنها تبالي كل المبالاة أن تلد كبتها من غير ولدها وذلك لأن الطبيعة لا تدبها لغير إنتاج الدرية سواء كان إساحتها على حكم العرف أو على ضد حكمه

«مجمع الأحياء - ١٩١٦»

ما يدريك ما عصر الاسترخاء والترو؟ إنه عصر تزيع فيه الأبصار والبصائر فنكل عما وراء القشور والظواهر عصر تكون البهائم فيه أصدق حب من الناس؛ لأن البهائم لا تلعب بحبيها ولا تتبدل غرائزها تهجع المشاعر هي أمثال ذلك العصر فتعربد الحواس، ويموت الحب الفطري فتمرح في رهاته ديدان الشهوات، ويأخذ الناس من كل شيء بأسره، ويقعون من كل مطلب مأفوه إلى الحس وأصغره، فلا يكون الجمال إلا صفة في البشر تلحسها الألسنة حتى سول، ثم تحجب كس يمج البصاق الملوث من فرط التقرر والاحتقان

«العصول - ١٩٢٢»

* * *

أين هو الرجل الذي يفهم الحرية وهو يسكن إلى شريكه في الحياة مستعبداً وأين الرجل الذي يعم يثمرة الحرية وهو وليد أم مقده؟ وأين هو لرجل الذي تحيا نفسه وقد مات فيها الحبيب الذي خلعت المرأة لتحبيه إنه العنقاء التي يحدثون عنها في أساطير الأولين

«العصول - ١٩٢٢»

في السويد كاتبة كبيرة تدعى «إلي كي» تقترح أن يفرض النجس على العتيات كما يفرض على العنبان، فتقضى كل مقام تبلغ الثامنة عشرة منه ستين في الخدمة العمومية. وهم تقضى هذه المدة لا في حرم السلاح طبعا ولا في التدريب على إطلاق المدافع وحفر الخنادق ولا في شئ العارات وتدويخ

المستعمرات، وإنما تقضيها في التدريب على وظائف الأمور بمدراس
الأطفال وملاجئ المرضى ومستشفيات الولادة ومعاهد الفنون الجميلة وما هو
من هذا القبيل.

«الفصول - ١٩٢٢»

• • •

لكل عضو جماله الخاص به ، وحمال العيون والشفاه عام لا يحمل الحال إلا
به ولو نظرنا إلى مزية في العيون والشفاه تجبر لها هذا الشأن في تقدير الحمال
غير اتصالها بالإحساس ذلك الاتصال الذي ألغنا إليه لما أبصرنا لها مزية
سواها. فلماذا لا نقول إن الأصل في حب الحمال هو امتحان قابليات الجسم
بأظهر أجزائه للناظر؟

«الفصول - ١٩٢٢»

إن الفرق بين الناس في الأهواء الجنسية لم يجمع عن قرق في الانخداع للوهم
والتمرد على القيود. ولكنه يحرم عن قرق في مناعة النفس ووثاقة الخلق وفي
الصلاح للأبوة وبقاء الذرية، بحيث يمكن أن يقال - بل يقال على التحقيق - إن
الفصائل الجنسية الصحيحة كانت في أول منشأها مزايا حسدية فسيولوجية قبل
أن تكون مزايا أدبية أو دينية

«الفصول - ١٩٢٢»

ليس أدل على اضطلال أمة، أو على قرب اضطلالها من سهولة الشروط
الطورية التي تنبئ عليها العلاقات بين الجنسين وشيوعها في جميع الناس على
السواء. فالرجل الذي لا يتخير لعاطفته الجنسية يقول بأصدق لسان ينطق به -
لأنه لسان ذرة من ذرات جسمه - إنه أب حثير لا خير للعالم في نسله ولا موجب
للمعير والدقيق في تربيته

«الفصول - ١٩٢٢»

حمال المرأة حلة من نسج الطبيعة ولكنه - بعد - حلة كمائر الحل يلبسها
أهلها كما يلبسها غير أهلها فكم من مليحه تحس وأنت تنظر إليها أنك في حل
من محو ملامحها، وإنك إن نزعته لم تكن تنزع عنها شيئاً من لحمها ودمها
فهي طلاء أو هي يرقع أو هي ترويق، ولا يمتنعك إلا الحياء أن تصيح بها ادعبي
تغيري هذه الملابس التي عليك أما إذا اتسق الجسم واعتدل هدامه ونصبت

حلاوته واستوت أحراره واستك عليها رواؤه فأى اختيار يبنى بلجما؟ إنه لا مهر له من النور هناك إنه من مسج الحسم وله نصيب فى كل موضع منه، وليس هو بالخلعة التى تستره ومحد بها عليه إنه حلة لا تنفصل عن لابسها، لأنها لونه الذى تنصع به طبيعته ونوره الذى تشعه حياته، كاحمرار الرودة واخصرار الشحرة وبصرة العككة ووهج الحمرة المتقدة لا افتراق بينها، ولا عذر لمن يجز بغير هذا الصمال.

«مطالعات فى الكتف والحياة ١٩٢٤»

♦ ♦ ♦

إن الزينة عناية بالضواهر، والتمنع هو إخفاء ما فى باطن النفس وكلاهما لازم للمرأة أو الصبيغة، وكلاهما يستدعى لرياء والمحاولة، ولا سيما إن كان فى خلق ضعيف لا يقدر على إظهار كل ما يحاحه ولا بأس أن يبوح بكل سره ولو أنما حيرنا بين امرأة صريحة أن تهجر الزينة وبطيح أول رعة وبين امرأة مرآنية، أى تتحلى وتستعصم لما طال به التردد والاختيار، ولعلنا حينئذ أن الفلسفة الطبيعية أصدق وأحكم من فلسفة علم الأخلاق

«المطالعات - ١٩٢٤»

من أسوأ العلامات فى الزمن الأخير أن بصغر قدر الرجولة فى نظر المرأة حتى تأبى من الإقرار للرجل بحق الانفراد بوبها بشأن من شئون الحياة وحتى تدعى أنها يستطيع به أن تكون امرأة ورجلاً فى آن واحد وهو لا يستطيع أن يكون رجلاً مستقلاً يعمل من الأعمال،

«المطالعات - ١٩٢٤»

إن آداب الأدبية يوشك أن تبلى على داب الكتابة ومباحث الفكر فيحس الكاتب قلمه عن كل ما يغضب المرأة ولا يوافق هواها كما يحس لسانه عن ذلك فى أندية الأسس ومخالف السم، ويكتب حين يبحث فى مسائل الاجتماع بقلم اسعير الظريف لا بقلم الناقد الأثير ولكن الأدبية شيء وأمانة الكتابة شيء آخر لا بل يجب أن مذكر أصل آداب الأدبية فلا بدسى أن الرجل إنما يخص المرأة بالريادة فى الحفاوة والملاطفة ويحرص على مجاملتها وتقديرها لسبب واحد وذلك أن الرجل لا يكلف المرأة ما يتكلفه هو، وإنه يعيها مما يطالب به أئداده وأكفاهه فى القوة والواجب ولم ذاك ؟ لا لأنها سواء ولا لأنها متكافآن ولكن

لأنهما غير سواء في الواجبات والتكاليف، وغير سواء في القوى الجسدية
والنفسية

«المطالعات - ١٩٢٤»

لوحظ أن المرأة تسعى بسلامة الأعضاء - كل عضو على حدة - أكثر من
مسايتها بحمال الأعضاء وحسن تناسبها في مجموع شكلها، فإذا نظرت إلى
الرجل تفرست في كل حارحة من جوارحه وتأملت في تركيبها تأمل الطبيب الذي
يحصن أحرء الجسم لا تأمل العاقد النفس الذي يلتفت إلى عموم الشكل ثم إلى
نسبة كل جزء منه إلى جملة أجزائه ومعنى ذلك أن الدرجة الشعبية علب على
مراجها من الدرجة الجمالية الفنية. وإنما تنظر إلى جسم الإنسان نظرها إلى حمار
ركب لأغراض مفيدة لا إلى دمية معبودة أو تمثال وسع من صنعة الفن الجميل

«المطالعات - ١٩٢٤»

حريه اختيار الزوج حق المرأة إن شاءت تولته بنفسها وإن شاءت تركته
أولبائها على أننى لا أعالي بهذا الحق مغالاة الذين يحسبونه أس السعادة كلها
في الزواج

إننى أحد أن تحتفظ المرأة الشرقية «بأنوثتها» وألا تقتبس من المدنية
الغربية إلا ما كان سلاحاً لهذه الأنوثة في أداء وطيفتها وصرن حقوقها

«مراجعات في الآداب والفنون - ١٩٢٥»

رأيت منذ أيام صورة الأم والابن المصور الإنجليزى دافيس - وفي صورة
فرس مرصع ترأى مهرها الصغير - فما تمثلت حين رأيته إلا الأمومه وحانها
وتضحيتها بغص النظر عن الأم هل هي امرأة أو فرس، أو عن الولد هل هو طفل
أو مهر ولو وضع المصور في مواضع الفرس والمهر أمماً آدميه وطفلها ما اختلف
شعورى بها في جوهره لأننى إنما رأيت الحنان الماثل في الصورة وتجاوزت
لشكل الظاهر إلى ما وراءه، ولعن صورة الفرس والمهر أبلغ في تمثيل الحنان
لأننا نسفر أن نحن هذه العاطفة في قلب حيران أفرس فيكون عطفه عليه ألد
وأعظم وتأملنا في عجائب تلك العاطفة داعياً إلى الإمعان في الشعور بها
والتعمق في استحصارها

«مراجعات في الآداب والفنون - ١٩٢٥»

المرأة ما خلقت فيما مضى ولن تخلق بعد ابوم قانوناً خلقياً أو نخوة أدبية

تدين بها وتصبر عليها غير ذلك القابون الذي تتلقاه من الرجل وتلك النخوة التي
تسرى إليها من عقيدته ولو ظهرت في الأرض نية معرول من دعوة الرجال لما
امت بها امرأة واحدة، ولا وجدت لها في طبيعة الأنثى صدى طلبها إذا دعت إلى
التصديق والإيمان وإبنا المرأة تؤس بالرجل حين تؤمن بالمبى وبالإله

«ساعات بين الكتب - ١٩٢٧»

تلك هي «إمّا» كما يدعوها المقربون أو «لادى هاملتون» كما عرّفها المجتمع،
أو هي المرأة الإلهية كما كان يدعتها رومى المصور المعثور

تعود صاحب لي كلما رأى صورها التي عندي أن يقول: طوبى لنلسون! إننى
أريد أن أحسده فلا أدري أعلى هذه الحبيبة لحسده أم على تلك العظمة التي أصبح
مها في الخالدين؟ إن الرجز لسعد ولكنى لا أعلم أسعيد هو بالنصر في عالم
الحرب أم سعيد بالنصر في عالم الغرام، ولو أننا سألنا نلسون لأجاب وأغابنا عن
التخمين فما كانت العظمة لنلسون ولا لعبه إلا تكاليف وعروضاً يشقى بها
المكلفون وما كان المجد إلا صخباً جوحاً لا نوم فيه ولا سكون، وإن لم يخل من
أمايه وأحلامه فإن كانت سعادة هي المجد فهي سعادة قلب لا سعادة رؤوس
وأكاليل، ولن يسعد قلب بغير عطف، ولن يكمل عطف بغير حب جميل.

«ساعات بين الكتب - ١٩٢٧»

• • •

إن الغيرة ثمرة الحب والأثرة والخوف وهذه العناصر الثلاثة تنمو في طين
النساء ما ليست تثمره طين الرجال. فهؤلاء وهؤلاء يغارون ولكن أخرى
الفرقيقتين بالزيادة من هو أخرى بالإشفاق وأخسر صفقه في الصبح

«ساعات بين الكتب - ١٩٢٧»

• • •

ما من رجل كبر أو صغر إلا والمرأة واحدة بديلاً منه يغنيها عنه في جميع
نواحيه أو بعض نواحيه إن كان محبوباً ففي الرجال من هو أحب وإن كان
مهيماً ففي الرجال من هو أهيى، وإن كان جميلاً أو سرياً أو قوياً ففي الرجال من
هو أحمل وأسى وأقوى. ولقد نستبدل الذي هو أدنى بالذى هو خير وليس من
الضرورى أن تفاص المرأة بين أحسن والأحسن والصالح والأصلح. وليس من
الضرورى إن هي قاصلة - أن تكون مختارة مفتوحة العينين فيما تدع وهي

تأخذ. لقد تكون محسوسة مسبوقة ثم تستبجم إلى الخديعة، وقد تؤثر الرجل على الرجل شهوة طريق. كما يذهب الإنسان إلى غذائه فيلقاه مطعم يفعم أنه ببعض روائحه فيميل إليه وقد يعافه في غير تلك الساعة

«سارة - ١٩٢٨»

«نزلت سارة وهي مستريحة مستبشرة خفيفة القلب واطوبة لا تبدو عليها أثر من التكلف والرياء ومن دأب المرأة إذا نتعشت حواسها أن تحف وتشط ولا يثقل على صغيرها عيب من الأعياء، وهذا الذي يلوح للرحل في صورة البراءة فمخدع، أو هذا الذي يسمونه أحياناً بعشق المرأة وقدرتها على إحادة الرياء وإخفاء ما في الطوية، وإنما هي في خفتها كالطفل الذي تأخذه حماسة اللعب فلا تحصره الشواغل ولا تثقله الدخائل.»

«سارة - ١٩٢٨»

* * *

إن الرجل يعشق الأعشى في مبدأ الأمر لأنها امرأة بعينها امرأة بصفاتها الشخصية وخالها التي تتميز بها بين سائر النساء ولكنه إذا أوعى في عشقها وانغمس فيه أحبها لأنها «المرأة» كله أو المرأة التي تتمثل فيها الأنوثة بخلافها وتحتمع فيها صفات حواء وجميع صفاتها، فهي تثير فيه كل ما تثيره الأنوثة من شعور الحياة وأي شعور هو بعيد من نفس الإنسان في هذه الحالة؟ إن الأنوثة لتثير فيه شعور القوة والجمال، وشعور الإنسان كله، وشعور الحيوان كله، بل تثير فيه حتى الشعور بما وراء الطبيعة من آراء مرهوبة ومن أعوار لا يميز مداها هي النور والظلام. لأن المرأة حين تمثل الأنوثة هي صراط الخلق وانكسار، وأداة الوليد والدوام والخلود، وهي مظهر القوة التي يجديها كل شيء في الوجود وكل شيء في الإنسان

«سارة - ١٩٢٨»

إن الرجل حين يحب المرأة إنما يريد ما ولا يريد ما هو أحمل منها، وإنما يحسها ويحس بها لأنها هي لا لأنها امرأة لا حارق بينهما وبين سائر النساء وكالمظارة التي تطلو العين لأنها نظارتها تكون المعشوقة للعاشق الذي عاشرها وألف محاسنها وعيوبها، وتمثل كل صفة من صفاتها كأنها شخص مستقل «مخصوص» لا شابهه بينه وبين الصفات عامة فلا المظارة التي هي

أبعد أمدا وأنفس راحا تعنى العين التي تنظر بها دونهاء ولا المرأة التي هي
أجمل طلعة وأكرم سليفة تغنى العلب عن امرأة التي تعود أن يخفق لها أو يحقق
معها

«سارة - ١٩٢٨»

• • •

أوجه ما نقول في تعدد الزوجات من الوجهة الخلقية أو الأدبية أن النبي عليه
السلام لم يجعله حصة مطلوبة لذاتها أو مباح يختاره من يخاره وله مسوحة
عنه، وإنما جعله ضرورة يعترف بها الرجل وتعترف بها الأمة في بعض الأحوال
لأنها خير من ضرورات، ومن يكره هذا إلا منعت يكره الحقائق ويتحامل
المحسوس المائل للعيان

ولا شك أن الجمع بين المرأة العقيم أو المرأة المريضة وبين غيرها أكرم لها
وللمجتمع من بينها في معتك هذه الدب الصروس بغير ولد وبغير روح وبغير
عاصم، ثم هو أكرم للزوج نفسه وهو كائن حتى يرد أن يصل ما بينه وبين الحياة
بذرة صالحة هي القرص الأكبر من كل زواج، ولولاها لانتقض من المجتمع
الإنساني أساس كل زواج

ولا شك أن الجمع بين المرأة المهرود منها وبين زوجة أخرى أكرم وأصلح من
الجمع بينها وبين خلية أو عدة خليات.

ولا شك أن تسهيل الزواج وبخاصة في أوقات الحروب التي ينقص فيها
الرجال أكرم للمجتمع الإنساني وأصلح في تسهيل العلاقات الأخرى التي لا تنفع
الأخلاق، ولا ترمع المرأة في عصمة رجل أو في متناول كثير من الرجال

«عيقرية محمد - ١٩٤٢»

• • •

إنما العقوبة التي أثرها النبي ﷺ هي الهجر الطويل أو القصير، بعد العضة
والعتاب الجمين.

والهجر - ولا سيما الهجر في المضاجع - عقوبة نفسية بالغة وليست كما
يتبادر إلى بعضهم عقوبة حسية تؤلم المرأة لما يعوتها من سرور ومتعة فإن
موت السرور والمتعة أياما لا يؤلم المرأة هذا الإيلاء الذي يجعل الهجر في
المضاجع من أصعب العقوبات دون الطلاق. فأبلغ العقوبات ولا ريب هي

العقوبة التي يمس الإنسان في غروره وتشككه في صميم كيانه في المربة التي يعتز بها وبحسبها مناط وجوده وتكوينه والمرأة تعلم أنها ضعيفة إلى جانب الرجل ولكنها لا بأسى لذلك ما علمت أنها فائنة له وأنها غالبة بفتنتها وقدرة على تعويض ضعفها بما تبعثه فيه من شوق إليها ورغبة فيها

فيمكن له ما يشاء من قوة فلها هي ما تشاء من سحر وفطنة وعزها الأكر عن ضعفها أن فتنتها لا تقاوم، وحسبها أنها «لا تقاوم» بدلا من القوة والصلاحة في الأجساد ولعقول.

فإذا فارت لرجل مصاحبة له وهي في أشد حالاتها بغراء بالفطنة ثم لم يباله ولم يؤخذ بسحرها فما الذي يقع في قلبها وهي تهجر بما تهجر به في صدرها؟

أفوات سرور؟ أحسين إلى السؤال والمعاتبة؟ كلا ير يقع في وهما أن تشك في صميم بوثنها، وأن ترى الرجل في أقدر حالاته حذرا بهيبتها وانعابها، وأن تشعر بالضعف ثم لا تتعري بالفطنة ولا بعلية الرغبة فهو مالك أمره إلى جانبها وهي إلى جانبه لا نملك شيئا إلا أن تثوب إلى التسليم

«عبرية محمد - ١٩٤٢»

الفرق فيما يرى - بين النبي والعاروق - هو الفرق بين نساء عظيم وعظيم

والنبي لا يكون رجلاً عظيماً وكفى بل لا بد أن يكون نساءً عظيم فيه كل خصائص الإنسية الشاملة التي تعم أرجوله والأنوثة والأقوياء والضعفاء وتهيه للفهم عن كل جانب من جوانب بني آدم فيكون عارف بها وإن لم يكن منصف بها، قادراً على علاجها وإن لم يكن معرضاً لادوائها شاملاً لها بنصف وإن كان يكره بفكره وروحه، لأنه أكبر من أن يلتقي بقاء الأبداء، وأعد من أن يلتقيها لقاء الفصاة، وأخير بسعة آفاق الدنيا التي تنسع لكل شيء بين الأرض والسماء، لأنه يملك مثلها آفاقاً كافها هي آفاق الروح

ومن الصفات الأدبية التي كثيراً ما يطبقها الإنسان العظيم ويبرم بها اثر الرجل العظيم كل غرور صبياني يحيث بفوس الناس وهو ضرور نجست بها بهية غرور لشاعر بأساديه وعرور الفجار بصبعته، وعرور المرأة بحمالها وعرور الشيخ بثرائه، وعرور الأحقق بحيلائه، وعرور الجاهل بعلمه وهي كل صرور من

هذه الصروب كان بين محمد وعمر هارق واضح وتفوت محسوس، وكانت بينهما دروس تجرى بها الحوادث تعليمًا وهديًا كما تحرى عرضًا غير ظاهر فيه قصد التعليم والتلقين

«عبقريّة محمد - ١٩٤٢»

* * *

لا الرجل «زير النساء» ولا الرجل «لعاشق» بالحجة في ذوق الجمال. لأن زير النساء موكل يجب الأبوثة هي المرأة ينظر إليها قبل أن ينظر إلى جمالها، ولأن العاشق موكل يحب «شخصية» معينة تستهويه كائنًا ما كان حظها من الجمال، ولهذا يحب المرأة ويؤثرها على سائر بنات جنسها وأمام عينيها منهن من هي أجمل منها وأوفر حظًا من المحاسن والمخريات

مثل الرجل «زير النساء» في هذا مثل الرجل الأكل يلتهم كل ما صادفه من المأكول، فليس هو بالحجة هي التمييز بين الأطعمة والطعوم

ومثل الرجل العاشق في هذا مثل الرجل الموالع بصف واحد من المأكول فهو مصدوف عن كل ما عداه ولو كان فيه ما هو أفضل في التغذية وأمتع في اللذة فلا هذا ولا ذاك يسأل في صناع الطهي رغبة الطعام وإنما يسأل عنهما الرجل الصحيح الذي يملك ذوقه فلا يصرفه صارف عن تمييز الحسن السائغ حيث كان

«شاعر الغزل - ١٩٤٣»

* * *

في حياة السيدة عائشة مجزأان صادق لحقوق المرأة في عصرها، وقد يقاس عليه لميران الصابق لحقوق المرأة في جميع العصور

فالحياة البتة وما يتصل بها من حياة التربة والتعليم ومعونة الرجل في واجباته العامة هي خير ما تتولاه المرأة من الأعمال

والسياسة - ولا سيما السياسة في عصور الاضطراب - هي المجال الذي يحسن بها لتجنبه ولا يرجى لها التوفيق فيه، وقد تودى فيه همالك الخير إذا المرمت جانب المسالمة وكانت لها وسيلة إليها أما جانب الرئاسة والإشراف فلا طاقة لها به ولا يتأتى لها أن تتولاه إلا نقلت إليه شئون البيت ومرجته بما يهمها من أواصر القرابة والمعيضة الزوجية

فالسيدة عائشة كانت ربة بيتها وشريكة زوجها، وكان زوجها العظيم يعينها في شئونه ويكون في مهنة البيت ما دام فيه. وكانت هي تعينه على شئون الهداية والإصلاح كلما وسعها المعونة فيها، وقد لقت الناس ما تلقته منه فأحسنت التلقين. وهذا في جملته هو قوام الحقوق بين الجنسين. ولكنها على ذكائها وعلمها، وعلى أنها في بيت الرئاسة نشأت، وفي بيت الرئاسة عاشت، وأنها تعودت أن يوزع لها وتسمع كلمتها - قد تحولت بها طوارئ الحصر إلى السياسة العامة فكانت فيها طوعاً لأوامر البيت ودراعى العودة والنفور التي توحىها ولم تكن مثلاً يعتقدى به في توجيه الأمور العامة كما كانت مثلاً للنساء كافة. وهي ربة بيتها وشريكة زوجها.

الصديقة بنت الصديق - ١٩٤٣

• • •

تعطيل الإرادة أصيل في الهوى كله، ولا سيما الهوى الذي نسميه بالعشق أو نسميه بالغرام.

لأن المرء يرتبط فيه بإرادة شخص آخر فهو مفيد بهذا الارتباط الذي لا تتفق فيه الإرادتان في جميع الأحيان.

ثم يتفقد الشخصان معاً بإرادة النوع كله أو بالإرادة القاهرة التي تتمثل في الغريزة النوعية وتتغلب كثيراً على إرادة العاشقين، وإن اتفقا على حالة من الحالات.

ثم يتقيدان بالعرف الذي يفرضه المجتمع وتفرضه الآداب والأخلاق فوق ما تفرضه الطبيعة من طريق الغريزة النوعية.

ثم يتقيدان بظروف المعيشة وأحوال الدنيا التي تتاح على وفاق الهوى أو لا تتاح.

فإذا تميز العشق بين سائر العلاقات الإنسانية بخاصة من الخواص الظاهرة، فأكثر ما يتميز به هذا التقيد الشديد لإرادة العاشق من جملة نواحيه.

وقد يبلغ به هذا التقيد لإرادته أن يحول بينه وبين فهم إرادته فلا يعلم ماذا يريد فضلاً عن أن يعلمه ويعجز عنه، فإذا به قد انقسم على نفسه كما ينقسم

المعسكر الواحد إلى ضدين متحاربين، ولا غنيمة لأحد منهما في الانتصار، إذ هو انتصار لا يخلو في الحالتين من خسار.

وينتهي به الأمر إلى البقاء على حاله عجزاً عن تغييره لا سروراً به ولا رغبة فيه.

فهو لا يتعلق بمعشوقة لأنه راض عن هذه العلاقة يلتذها ويتشهاها ويتذوق النعمة والهناء فيها، ولكنه يتعلق به لأنه عاجز عن فراقه، مقيد بضروب من العادات والوساوس لا حيلة له فيها ولا قوة له عليها.

ومثله في ذلك مثل المدمن الذي يتعاطى السموم ولا يجهل بلواها، ولكنه يقطع عنها فلا يقر له قرار، فيبضى فيها وهو كاره لها يبحث ما استطاع عن سبيل الفجاءة.

«جميل بثينة - ١٩٤٤»

العشق أصيل في طبيعة الإنسان إذا نحن رددناه إلى الفريزة النوعية، بل هو أصيل في طبائع بعض الأحياء من الطير والوحش كما ظهر من تلازم بعض الأزواج واقتصار بعض الذكور على بعض الإناث، بغير تعديل إلى أمد طويل

«جميل بثينة - ١٩٤٤»

الفهرس

٢	هذه الشجرة.....
٩	غواية المرأة.....
١٥	جمال المرأة.....
٣١	تفاوت الجنسين.....
٤١	تناقض المرأة.....
٤٧	حب المرأة.....
٥٥	أخلاق المرأة.....
٦٥	حقوق المرأة.....
٧٣	الجنس.....
٨١	الحب.....
٨٥	معاملة المرأة.....
٨٩	من كتب المؤلف.....

مؤلفات عماد الدين الأديب العربي

الكتاب الكبير

عباس محمود العقاد

١ - الله	٢٧ - سارة	٥٣ - يوسف (الجزء الأول)
٢ - يوحنا بن أبي الأنبياء	٢٨ - الإسلام دعوة عالمية	٥٤ - يوسف (الجزء الثاني)
٣ - مطاع النور في طوابع البعثة المحمدية	٢٩ - الإسلام في القرن العشرين	٥٥ - عالم السود والبيوت
٤ - حكمة محمد ﷺ	٣٠ - ما قبل الإسلام	٥٦ - مع طاعل الجزيرة العربية
٥ - حكمة صبر	٣١ - سقاي الإسلام وأماطيل خصومه	٥٧ - مواقف وقضايا في الأدب والسياسة
٦ - حكمة الإمام علي بن أبي طالب	٣٢ - تفكير فريضة إسلامية	٥٨ - دراسات في المذهب الأدبي والاجتماعي
٧ - حكمة خالد	٣٣ - الفلسفة القرآنية	٥٩ - آراء في الأدب والفنون
٨ - حية المسيح	٣٤ - الديمقراطية في الإسلام	٦٠ - بصوت في اللغة والأدب
٩ - ذو النورين عثمان بن عفان	٣٥ - أثر العرب في الحضارة الأوروبية	٦١ - نغمات في الفن والفلسفة
١٠ - عمرو بن شعيب	٣٦ - الثقافة الشعرية	٦٢ - فنون وفن وفلسفة
١١ - منبوبة بن أبي سفيان	٣٧ - اللغة الشاعرية	٦٣ - فنون وشعور
١٢ - ناصب السماء بلال بن رباح	٣٨ - شعراء مصر وشعرهم	٦٤ - نغم ومغاني
١٣ - أثر الشهادة الحسين بن علي	٣٩ - أشعار مجتمعات في اللغة والأدب	٦٥ - قديمان في الأدب والفن
١٤ - قلعة الزمراء والفاطميون	٤٠ - حية قلم	٦٦ - عيد القلم
١٥ - قلعة الشجرة	٤١ - خلاصة شريعة وفنون	٦٧ - رعد وحدود
١٦ - إلهام	٤٢ - مصباح قوى العبادات	٦٨ - ديوان ينفذ الصباح
١٧ - جدار الصالحات للصالح	٤٣ - لا نبوية ولا استعمار	٦٩ - ديوان دمع ظهيرة
١٨ - أبو نواس	٤٤ - الشيوعية والإنسانية	٧٠ - ديوان أشباح الأصيل
١٩ - الإسلام في القرون	٤٥ - الشيوعية لاهلية	٧١ - ديوان وحى الأرواح
٢٠ - التراث في القرون	٤٦ - أسواق	٧٢ - ديوان صدى أفكار
٢١ - حفرى الإصلاح والتعليم الإمام محمد جنة	٤٧ - لنا	٧٣ - ديوان عابر صبر
٢٢ - محمد وفان وجمع النبوة	٤٨ - حكمة الصديق	٧٤ - ديوان أمعير مغرب
٢٣ - روح عظيم الهذا غدا	٤٩ - الحكمة تحت العنق	٧٥ - ديوان بدء الأعاصير
٢٤ - عبقري حسن الكراكي	٥٠ - الإسلام والحضارة الإنسانية	٧٦ - عرقس وشياطين
٢٥ - رجعة أبي العلاء	٥١ - مجمع الآراء	٧٧ - ديوان أشجان طرد
٢٦ - رجال عرفتهم	٥٢ - الحكم للفن	٧٨ - ديوان من غواصين

احصل على أي من إصدارات شركة نهضة مصر (كتاب / CD)
وتمتع بأفضل الخدمات عبر موقع البيع www.enahda.com

